القلادة
في
سبق العلم وفضله على العبادة

تأليف
أبي عبد الله
أحمد بن حسين بن بدوي

راجعه وقدّم له فضيلة الشيخ
أبو يحيى محمد بن عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

رقم الإيداع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ
محمد بن عبده

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد..

فإن العلم أشرف مطلوب فى هذه الحياة الدنيا ، وأخص منه بالذكر العلم المتعلق بذات الله وصفاته وشريعته التى أرسل رسوله ﷺ بها .

وقد سبق العلم العمل ، وكل عمل بلا علم يدخله القصور والفساد بقدر بعده عن العلم ، وقصة فتوى العابد الذى قتل تسعة وتسعين نفساً تسببت فى قتله ، وعبادة جريج عابد بني إسرائيل كانت بقصور فى الفقه ؛ إذ فضَّل نافلة صلاته على إجابة دعوة أمه ، والثانية واجبة والأولى مستحبة ، قدَّم المستحب على الواجب ، فكان من جراء ذلك إصابته بدعوة أمه أن يريه الله وجوه المومسات وقد كان ، ولو دعت عليه أن يُفتن لفُتن .

ويتعظ بما عليه الخوارج ، اهتموا بالعبادة بلا علم ، وقد وصف النبي ﷺ عبادتهم كما نعتهم فقال واصفاً إياهم : ((**تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ، وصيامكم إلى صيامهم ، وقراءتكم إلى قرائتهم**)) .

ووصفها ابن عباس رضي الله عنهما لما رآهم بعد ، فقال : ((أيديهم كثفنِ الإبل ، وجباههم معلمة من آثار السجود)) ، لكن لم يهتموا بالعلم ففسدوا وأفسدوا إفساداً عظيماً فى الأمة ، فقاتلوا أهل الإسلام ، ونجا منهم أهل الأوثان ،

ومرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة .

قال عليه الصلاة والسلام : ((**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ وثمود**)) .

فالسعيد من وُعِظَ بغيره .

ولذا كان تقديم العلم على العلم ونوافل العبادات مقرراً معروفاً نبَّه عليه لمصالح ، وهو موضوع هذه الرسالة التى جمعها أخونا / **أحمد** ، شكر الله له صنيعه وثبته ونفع به وجعل ذلك فى ميزان حسناته فى يومٍ لا ينفع فيه إلا الصدق .

جمع الآثار الواردة فى ذلك وحلاه بأقوال أهل العلم تبييناً لإخوانه ، وترغيباً فى السعي لطلب العلم الذى عظم فضله وفضل أهله ، ولا يعني ذلك إهمال العبادة والإقبال على العلم ، وإنما المقصود بيان شرف العلم وأهله .

والعاقل يأخذ بحظه من الاثنين ويقدِّم العلم على العبادة .

وقد راجعتُ عمله معه فألفيته نافعاً موفقاً فى مجمله ، أسأل الله تعالى أن يثبته ويثيبه ، وأن يجعله زاداً إلى يوم المصير إليه ، وعتاداً إلى يُمن القدوم عليه ، وأن يجعله زخراً لوالديه ، وينصر به السُّنَّة ويقمع بهِ البدعة ، ويوفقه لمزيد توفيق ، إنه وليُّ ذلك ومولاه .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتبه

أبو يحيى محمد بن عبده

بلطيم-كفر الشيخ-مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا ، مَن يهده الله تعالى فلا مضل لـه ، ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب) .

وبعد ..

فإن أصدَق الكلامِ كلامُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ نخشى على صاحِبِهَا مِنَ النَّارِ .

ثم أما بعد ..

فإن العلم هو أصل الأصول ، وتنبني عليه صحة الفروع ، ولولا العلم ما وجد العمل ، فقلَّ مَن عمل بلا علمٍ وأصاب ، كما قال السلف فيمن عمل

بلا علم: ((كان ما يفسد أكثر مما يصلح)) ، ولذلك فُضِّلَ العلم على نوافل العمل والعبادات ، ولقد فهم علماء السلف ذلك جيداً ، فاهتموا اهتماماً بالغاً بتأصيل العلم قبل التصدر .

قال أبو مسلم الخولاني فى مدحه للعلماء :

((العلماء فى الأرض مثل النجوم فى السماء ، إذا بدت للناس اهتدوا بها ، وإذا خفيت عليهم تحيروا)) . (١)

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ ، فمن أوتي سمعاً واعياً وقلباً حافظاً فقد أوتي حظاً عظيماً .

وتعلم العلم وتعليمه هو خير الأعمال إن حسنت نيته فيه وأراد الله به خيراً .

فقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله فى نصيحته لأهل العلم :

((أيها المريدون طريق الآخرة والصدق والطالبون أسباب العبادة والزهد اعلموا أنه من لم يحسن عقله لم يحسن تعبد ربه ، ومن لم يعرف آفة العمل لم

---

(١) **إسناده حسن عنه.**

أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (٥/ ١٢٠) من طريق محمد بن أحمد الجرجرائي ، ثنا أحمد بن موسى العدوي ، ثنا إسماعيل بن سعيد الكسائي ، ثنا عيسى بن خالد ، عن شريك ، عن آدم بن علي ، عن الحسن ، عن أبي مسلم الخولاني به .

يحسن أن يحترز منه ، ومن لم تصح عنايته بالشيء لم ينتفع به إذا وجده ، واعلموا أنكم خلقتم لأمرٍ عظيمٍ ، وخطرٍ جسيم ، وإن العلم لم يُرَد ليُعْلَمْ ، وإنما أُرِيدَ ليُعْلَمْ ويُعْمَلُ به ؛ لأن الثواب على العمل بالعلم يقع لا على العلم ، ألا ترى أن العلم إذا لم يعمل به عاد وبالاً وحجة ، وانظروا ألَّا تكونوا معشر المريدين ممن قد تركوا لذة الدنيا ونعيمها ، ثم لا يصدق طلبكم فى الآخرة ، فلا دنيا ولا آخرة ، وفكروا فيما تطلبون فإن من لم يعرف خطر ما يطلب لم يسهل عليه فى جنب طلبه ، واعلموا أنه من لم يهن عليه الخلق لم يعظم عليه الرب ، ومن لم يكن طلبه فى طريق الرغبة والرهبة والشوق والمحبة كان متحيراً فى طلبه مخلطاً فى عمله ، لا يجد لذة العبادة ، ولا يقطع طريق الزهادة ، فاتقوا الله الذى إليه معادكم ، وانظروا ألَّا تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة والزهادة والعبادة ، وحالكم عند الله على خلاف ذلك ، فإن الله يجزيكم على ما يعرف منكم لا على ما يعرفه الناس ، ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر الذى إنما هو للخلق ولا ثواب له ، بل عليه العقاب ويدع الباطن الذى هو لله وله الثواب ، ولا عقاب عليه)) . (١)

---

(١) **إسناده حسن وجادة .**

أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (١٠/ ٥٥) ، وقال : أخبرني محمد بن أحمد البغدادي فى كتابه ، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني ، ثنا عبد الله بن سهل الرازي ، قال : سمعت يحيى بن معاذ يقول به .

وإسناده حسن من أجل محمد بن أحمد البغدادي (أبوبكر الجرجراني) ، واختلف عليه ، ووصفه أبو نعيم بالحفظ ، وهو من شيوخ أبو نعيم .

وإني أدعو إخواني أقول :

((تعلموا العلم قبل أن يفتقر إليكم ، فإن أعبد الناس رجلٌ عالم إذا احتيج إليه نفع بعلمه ، وإن استغنى عنه نفع نفسه بالعلم الذى يعلمه الله عنده ، فما مال علمائكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ، فلو أن العالم أراد أن يزداد علماً لازداد وما نقص العالم شيئاً ، ولو أراد الجاهل أن يتعلم لوجد العلم)) . (١)

وقالَ ابن القيم رحمه الله :

((إن كثيراً من الأئمة صرحوا بأن أفضل الأعمال بعد الفرائض طلب العلم)) .(٢)

لذلك ضل الخوارج وأهل البدع ؛ لتركهم العلم وانشغالهم بالعمل من عبادة وغيرها بلا علم ، **ووصفهم بذلك الإمام مالك وغيره من الأئمة حيث قال :**

((إن أقواماً ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم ؛ فخرجوا على أمة محمد ﷺ بأسيافهم ، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك)) . (٣)

---

(١) وقد ورد هذا عن أبي الدرداء رضي الله عنه فيما أخرجه البيهقي فى ((شعب الإيمان)) (٢/ ٢٦٩) ، ولكن إسناده ليس بقوي من أجل يوسف بن بحر (بحبله) ، قال عنه الدارقطني : ((ليس بالقوي)) .

(٢) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ١١٩) .

(٣) المصدر السابق (١/ ١١٩) .

فانظر إلى العلم كيف ينجي صاحبه من الفتن والضلال !

ومذاكرة العلم عبادة من أفضل العبادات ، وهو عمل من أشرف الأعمال .

فيا إخوتاه ..

((تعلموا العلم ؛ فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ؛ لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار أهل الجنة ، والأنس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والدين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً ، ويجعلهم فى الخير قادة وأئمة ، تُقْتَبس آثارَهم ، ويُقْتدى بفِعَالِهم ، ويُنْتَهى إلى رأيهم ، وترغب الملائكة فى خلتهم ، وبأجنحتها تمسهم .

يستغفر لهم كل رطبٍ ويابس ، حتى الحيتان فى البحر وهوامه ، وسباع الطير وأنعامه ؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظُلَم ، يبلغ بالعلم منازل الأخيار ، والدرجة العليا فى الدنيا والآخرة ، والمتفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته بالقيام ، به تُوصَل الأرحام ، ويُعرْف الحلال والحرام ، إمام العمال ، والعمل تابعه ، يُلْهَمُه السعداء ، ويُحْرَمُه الأشقياء)) . (١)

(١) وقد ورد هذا عن معاذ بن جبل ﷺ .

ولقد نصَّت آثاراًعلى تفضيل العلم على العمل ونوافل العبادات ، لذلك أسند إليَّ شيخي الفاضل / **أبو يحيى محمد بن عبده** - حفظه الله - أن أشير إليها فى رسالة؛ حتى تكون نافعة للناس ، وطلاب العلم خاصة الذين يقبلون على الطلب حتى لا ينشغلوا بالنوافل المفضولة عن العلم الذى هو الفاضل .

فاستعنتُ بالله ﷻ بعدما استخرته فجمعت ما وفقني الله إليه من أحاديث ، وآثار ، وبعض أقوال أهل العلم ، وذلك بفضل الله ومنّه ، ودار موضوع البحث حول فضل العلم على العمل ونوافل العبادات ، وأن العلم لابد أن يسبق العمل ؛ حتى يكون العمل صواباً .

وقد قسمته إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : وهو ((**العلم أفضل الأعمال**)) .

الباب الثاني : وهو ((**فضل العلم على نوافل العبادات**)) .

الباب الثالث : وهو ((**ضلال من ابتغى العبادة بغير علم**)) .

.....

أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (١/ ٢٣٨) ، وابن عبد البر فى ((جامع بيان العلم وفضله)) (١/ ٢٣٨) من طريق رجاء بن حيوة ، عن معاذ بن جبل قوله .

وقال ابن عبد البر : ((حديث حسن جداً ولكن ليس له إسناد قوي)) ، وقال العراقي فى ((تخريج الإحياء)) (١/ ٨٩) : ((قوله حسن)) أراد به الحسن المعنوي لا الحسن المصطلح عليه عند أهل الحديث .

ومن خلال البحث فى هذا الموضوع وجدت أن ما روي من أحاديث مرفوعة قليل ، وأن أغلب الأحاديث المشهورة فى ذلك إما ضعيفة ، أو هي ليست من أقوال النبي ﷺ ، فكان أكثر اعتمادي على آثار الصحابة والتابعين وبعض تفاسير الآيات القرآنية وأقوال لبعض أهل العلم واستنباطاتهم من الأحاديث .

وعرضت ما وفقني الله إلى جمعه على شيخي **أبي يحيى محمد بن عبده** - حفظه الله- فأقر لي ما أقره وحذف ما ليس له علاقة بالموضوع ، فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء .

والفضل لله أولاً وآخراً ، فلولا الله ما وُفِّقتُ إلى ذلك .

ثم إني لا أدَّعي العصمة ، فهذا جهد قليل بفضلٍ من الله كبير ، فما كان من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله ﷺ منه براء .

وأرجو به النفع فى شدائد الموت والبرزخ والآخرة ، إنه سبحانه أعز أكرم وهَّابٌ منَّانٌ يجازي عن الإحسان إحساناً ، ويعطي على القليل كثيراً .

وأسأله أن يجعله فى ميزان حسنات والِدَيَّ ، وأن ينفعهم به وينفع به المسلمين إنه هو الواسع الكريم ، وأن يبارك فى النفع منه نفعاً يليق بسعة عطائه وكرمه ، وأن يجعله خالصاً صواباً ، وأن لا يجعل لأحدٍ فيه شيئاً .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وأصحابه الأبرار ، وأخص

بالذكر آل بيته الأطهار الذين نقاهم الله من الرجس ، وطهرهم تطهيراً .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

.

كتبه
أبو عبد الله
أحمد بن حسين بن بدوي
ادفو ـ أسوان ـ مصر
٠١٠٠٦٨٧٧٣٢٧
٠١١٥٨٤٧٨٩٩٠

العلم قلادة يتحلى بها أولوا المكارم

قال الإمام النووي رحمه الله :

((فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القُرب ، وأجلّ الطاعات ، وأهم أنواع الخير ، وآكد العبادات ، وأَوْلى ما أُنفقت فيه نفائس الأوقات وشمر فى إدراكه والتمكُّن فيه أصحاب الأنفاس الزكيات ، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات ، وسابق إلى التحلي به مستبقوا المكرمات)) .

فهو القلادة التى يجب أن نتحلى بها .

الباب الأول

العلم أفضل الأعمال

المبحث الأول

العلم أشرف القربات

العلم أفضل الأعمال وأشرفها

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧) .

وأحسن ما قيل فى تفسير الآية :

إنه إنما يتقبل الله عمل من اتقاه فى ذلك العمل ، وتقواه فيه أن يكون لوجهه على موافقة أمره ، وهذا إنما يحصل بالعلم ، وإذا كان هذا منزلة العلم وموقعه ؛ علم أنه أشرف شيء وأفضله ، والله أعلم .(١)

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (النساء) .

وقد استنبط الإمام ابن القيم رحمه الله من الآية :

بأن من طلب العلم ليحيي به الإسلام ؛ فهو من الصديقين ودرجته بعد درجة النبوة .(٢)

ومن هنا يتبين بأن العلم أفضل الأعمال ؛ لأنه خص العلم دون غيره من الأعمال ، وأن طالبه مع حسن نيته ينال درجة الصديقين والشهداء .

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله ، فَإِنْ كَانُوا فِى الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنْ كَانُوا فِى**

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (ص١١٩) .

(٢) المصدر السابق (ص١٦٨) .

السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِى الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْماً)) .

قال الأشج فى روايته : مكان ((سِلْماً)) : ((سناً)) . (١)

قال ابن القيم رحمه الله :

((فقدم الإمامة تفضيله العلم على تقدم الإسلام والهجرة ، ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسُّنَّة لشرف معلومه على معلوم السُّنَّة قدم العلم به ، ثم قدم العلم بالسُّنَّة على تقدم الهجرة ، وفيه من زيادة العمل ما هو متميز به ، لكن إنما راعى التقدم بالعلم ثم بالعمل ، وراعى التقديم بالعلم الأفضل على غيره ، وهذا يدل على شرف العلم وفضله ، وأن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية)) . (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**خِيَارُكُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِى الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا**)) . (٣)

وفيه : أن الفقيه هو الأكثر استفادة من الإسلام .

قال النووي رحمه الله :

((ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق فى الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس .

---

(١) مسلم (٦٧٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ٧٤) .

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال القاضي عياض : وقد تضمن الحديث فى الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه ومجمله ومبانه إنما هو الدين من التقوى والنبوة والإعراق منها ، والإسلام مع الفقه)) . (١)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

((وفيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه فى الدين)) . (٢)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ((معلم الناس الخير يستغفر له أو يشفع له كل شيء حتى الحوت فى البحر)) . (٣)

وهذا فضل عظيم للعالم يحصل لمن اشتغل بالعلم وعلم الناس ، ولذلك فقد أصبح العلم أفضل الأعمال .

قال زيد بن أسلم فى تفسير قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ (الأنعام:٨٣) :

((إنه العلم يرفع الله به من يشاء فى الدنيا)) . (٤)

---

(١) ((المنهاج شرح صحيح مسلم)) (١٥/ ١٣٥) .

(٢) ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) (٦/ ٥٢٩) .

(٣) **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٤) من طريق أبو معاوية الضرير ، عن الأعمش به .

وله طريق آخر سوف يأتي تخريجه .

(٤) **إسناده صحيح .**

ومن هنا يتبين لنا أن العلم أفضل الأعمال وأشرفها لأن به تتم الرفعة .

عن إسحاق بن سويد قال : ((تعبد عبد الله بن مطرف ، فقال له أبوه : أي عبد الله ، العلم أفضل من العمل ، والسيئة بين السيئتين ، وشر الشيئين الحقحقة (١))) . (٢)

وهو إشارة إلى الرفق فى العبادة .

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله :

((كذا السيئة بين الحسنتين ، وقد قيل : الحسنة بين السيئتين ، يعني بترك الغلو والتقصير .

.....

أخرجه ابن أبي حاتم فى ((تفسيره)) (٤/ ١٣٣٥) من طريق أبي زرعة الرازي ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الغمر ، ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : قال مالك : سمعت زيد بن أسلم يقول به .

(١) الحقحقة : هي شدة السير وإتعاب الدابة ، ويقال : سير حقحاق : أي شديد ، وقال بعضهم : الحقحقة فى السير إتعاب ساعة وكف ساعة . انظر : ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (١/ ٢٢١) ، و((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/ ٥٧) .

(٢) **إسناده حسن.**

أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (٢/ ٢٣٨) من طريق أبو حامد محمد بن أحمد الجرجاني ، نا أحمد بن موسى بن العباس العدوي ، نا إسماعيل بن سعيد الكسائي ، نا ابن علية ، عن إسحاق بن سويد، قال مطرف به .

ونص مطرف بن عبد الله بن الشخير بأن العلم أفضل من العمل ، وهو أفضل الأعمال)) .

قال سفيان الثوري رحمه الله :

((ما أعلم عملاً أفضل من طلب العلم وحفظه لمن أراد الله به خيراً .

وقال الحسن بن صالح : إن الناس يحتاجون إلى هذا العلم فى دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب فى دنياهم)) . (١)

سُئل مالك بن أنس ، فقيل له : يا أبا عبد الله ؛ أي شيء أفضل ما يصنعه العبد؟

قال : طلب العلم والفقه ، أما سمعت قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٢) . (٢)

---

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه الدارمي فى ((سننه)) (١/ ١٠٧) من طريق يعقوب بن إبراهيم بن زيد ، نا وكيع ، قال: قال سفيان به .

إلا أن الحسن بن صالح كان له قول سوء ، فإنه كان يرى السيف والخروج على الأئمة . راجع ترجمته فى ((تهذيب الكمال)) وغيره من كتب الرجال .

(٢) **إسناد رجاله معدلون .**

أخرجه الجوهري فى ((مسند الموطأ)) (١/ ٨٦) من طريق أبي علي الحسن بن علي بن شعبان ، ثنا أحمد بن مروان أبو بكر الدينوري ، ثنا إبراهيم بن ديزيل الملقب بسفينه ، ثنا ابن أبي أويس وهو إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس ، وهو ابن أخت مالك بن أنس ، نا مالك بن

فقال له مالك : العلم ولم يقل له العبادة .

قال يعقوب بن بختان [١] :

((سمعت بشر بن الحارث يقول : لا أعلم على وجه الأرض عملاً أفضل من طلب العلم والحديث لمن اتقى الله وحسنت نيته فيه)) . [٢]

وقال أيضاً سفيان الثوري :

((ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحت النية فيه .

قال أحمد : قلت للفريابي : وأي شيء النية ؟

.....

أنس قوله .

والأثر رجاله معدلون إلا أن شيخ الجوهرى أبو علي الحسن بن علي لم أقف فيه على جرح ولا تعديل ، وأظن به خيراً ، وأصحاب الكتب فى الغالب يتابعون .

(١) يعقوب بن بختان الفقيه أبو يوسف ، وهو صاحب الإمام أحمد ، سمع من مسلم بن إبراهيم ، وأحمد بن حنبل ، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال الخطيب عنه : ((كان أحد الصالحين الثقات)) . ((تاريخ بغداد)) (١٦/ ٤٠٨) .

(٢) **إسناده صحيح .**

أخرجه الخطيب البغدادي فى ((شرف أصحاب الحديث)) (ص٨٢) من طريق الحسن بن علي بن محمد الجوهري ، نا محمد بن العباس الخزاز ، نا أبو الفضل الصندلي ، نا يعقوب بن بختان القزاز، نا بشر بن الحارث قوله .

قال : تريد به وجه الله والدار الآخرة)) . (١)

كتب مالك بن أنس العمري العابد وهو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر إلى مالك - وهو الإمام العالم الفقيه مالك بن أنس - يحضه على الانفراد والعمل وترك مجالسة الناس فى العلم وغيره .

فكتب إليه الإمام مالك :

إن الله تعالى قسم بين عباده الأعمال كما قسم الأرزاق ، فربَّ رجلٌ فتح له فى الصلاة ولم يفتح له فى الصوم ، وآخر فتح الله له فى الجهاد ولم يفتح له فى الصلاة ، وآخر فتح له فى الصدقة ولم يفتح له فى الصيام .

وقد علمت أن نشر العلم وتعليمه من أفضل الأعمال ، وقد رضيت بما فتح الله لي فيه وقسم لي منه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه من العبادة ، وكلانا على خير إن شاء الله)) . (٢)

قيل لعبد الله بن المبارك : لو قيل لك لم يبق من عمرك إلا يومٌ ما كنت صانعاً ؟

---

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (٦/ ٣٦٦) من طريق علي بن سعيد الموصلي ، وأبو محمد بن حيان ، قالا : ثنا جعفر بن محمد الفريابي ، ثنا أحمد بن أبي الحواري ، قال : سمعت محمد بن يوسف الفريابي ، سمعت سفيان يقول به .

(٢) ((الاستذكار)) لابن عبد البر (٥/ ١٤٦) .

قال : كنت أعلم الناس . (١)

ففضل ابن المبارك العلم وتعليم الناس عن سائر القربات من العبادة ، وهذه دلالة على شرف العلم .

((عوتب عبد الله بن المبارك فيما يفرق المال فى البلدان ولا يفعل فى أهل بلده ، قال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق ، طلبوا الحديث فاحسنوا الطلب للحديث ، بحاجة الناس إليهم احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع علمهم ، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم)) . (٢)

ذكر الإمام أبو حامد الغزالي حال ثلاثة فرق ، فقال :

((وأن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل ، وكان العمل متمم له وسائق بالعلم إلى أن يقع موقعه ، ولأجله قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ

---

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه البيهقي فى ((المدخل)) (١/ ٣٠٩) من طريق أبو عبد الله الحافظ وهو الحاكم ، نا علي بن حمشاذ ، نا الحسن بن سفيان ، نا محمد بن الحسن بن سفينة ، نا أبي ، عن ابن المبارك قوله . وعلى بن حمشاذ هو ابن سختويه بن نصر المعدل الإمام ، قال الحاكم : ((كان من أتقن مشايخنا وأكثرهم تصنيفاً)) . ((تاريخ الإسلام)) (٧/ ٧١٩) .

(٢) **إسناده حسن .**

أخرجه الخطيب البغدادي فى ((تاريخ بغداد)) (١٠/ ١٥٩) من طريق عثمان بن أحمد الدقاق ، ثنا الفتح بن شخرف ، ثنا عباس بن يزيد ، ثنا حبان بن موسى ، عن ابن المبارك قوله .

ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر:١٠) ، والكلم الطيب يرجع إلى العلم عند البحث ، فهو الذى يصعد ويقع الموقع ، والعمل كالخادم له يرفعه ويحمله ، وهذا تنبيه على علو رتبة العلم)) . (١)

قال ابن الجوزي رحمه الله :

((أفضل الأشياء التزيد من العلم ، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً ؛ استبد برأيه ، وصار تعظيمه لنفسه مانعاً له من الاستفادة والمذاكرة تبين له خطأه وربما كان معظماً فى النفوس فلم يتجاسر على الرد عليه ، ولو أنه أظهر الاستفادة لأهديت إليه مساوئه فعاد منها)) . (٢)

قال الإمام النووي رحمه الله :

((فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القرب وأجلِّ الطاعات ، وأهم أنواع الخير وآكد العبادات ، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات ، وشمر فى إدراكه والتمكن فيه أصحاب الأنفاس الزكيات ، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات ، وسابق إلى التحلي به مستبقو المكرمات ...

وذكر :

((أن الانشغال بالحديث من أجلِّ العلوم الراجحات ، وأفضل أنواع الخير ، وآكد القربات ، وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو مشتمل على بيان حال

---

(١) ((ميزان العمل)) للإمام الغزالي (ص١٩٤) .

(٢) ((صيد الخاطر)) (ص١٢٧) .

أفضل المخلوقات عليه من الله الكريم أفضل الصلوات والسلام والتبريكات)) . [١] اهـ

سُئل شيخ الإسلام رحمه الله :

((ما الحكمة فى أن المشتغلين بالذكر والفكر والرياضة ومجاهدة النفس وما أشبهه يفتح عليهم من الكشوفات والكرامات وما سوى ذلك من الأحوال - مع قلة علمهم وجهل بعضهم - ما لا يفتح على المشتغلين بالعلم ودرسه والبحث عنه؟

فأجاب رحمه الله ، فقال :

((الحمد لله رب العالمين ، لا ريب أن الذى أوتي العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أوتوا الإيمان فقط ، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة والعلم الممدوح الذى دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة هو العلم الذى ورثه الأنبياء ....

فذكر رحمه الله بعض أنواعه وأقسامه ، ثم قال :

((وههنا أصل آخر ، وهو أنه ليس كل عمل أورث كشوفاً وتصرفاً فى الكون يكون أفضل من العمل الذى لا يورث كشفاً وتصرفاً ، فإن الكشف والتصرف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله وإلا كان من متاع الحياة الدنيا ....

ومن عبد الله بغير علم فقد أفسد أكثر مما يصلح ، وإن حصل له كشف

---

(١) ((شرح النووي على مسلم)) (مقدمة) (١/ ٣) بتصرف .

وتصرف ، وإن اقتدى به خلق كثير من العامة)) . (١) انتهى بتصرف يسير كلامه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

((فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذى لم يقرن به علم ، فإن الإنسان إذا عرف المعروف ، وأنكر المنكر كان خيراً من أن يكون ميت القلب ، لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، ألا ترى أن النبي ﷺ قال : **((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))** . (٢)

وفى لفظ : **((لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ))** . (٣)

وإنكار القلب هو الإيمان بأن هذا منكر وكراهته لذلك ، فإذا حصل هذا كان فى القلب إيمان ، وإذا فقد القلب معرفة هذا المعروف وإنكار هذا المنكر ؛ ارتفع هذا الإيمان من القلب)) . (٤)

قال ابن القيم رحمه الله :

((الآدمي إذا كان صالحاً لاصطفاء الله له برسالته ونبوته اتخذه رسولاً نبياً ،

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام بتصرف (١١/ ٣٩٥ - ٣٩٨)

(٢) صحيح مسلم (٤٩) .

(٣) صحيح مسلم (٥٠) .

(٤) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (١/ ١٧١، ١٧٢) .

كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام:١٢٤) ، فإذا كان جوهره قاصراً عن هذه الدرجة صالحاً لخلافة النبوة وميراثها ؛ رشحه لذلك وبلغه إياه ، فإذا كان قاصراً عن ذلك قابلاً لدرجة الولاية ؛ رشح لها ، وإن كان ممن يصلح للعمل والعبادة دون المعرفة والعلم جعل من أهله حتى ينتهي إلى درجة عموم المؤمنين ، فإن نقص عن هذه الدرجة ولم تكن نفسه قابلة لشيء من الخير أصلاً ؛ استعمل حطباً ووقوداً للنار)) . (١)

وهذا واضح من كلام ابن القيم رحمه الله بأن درجة العالم أفضل وأرفع من درجة العابد كما تقدم ، وأن العلم أفضل الأعمال وأشرفها ودرجته بعد درجة النبوة .

قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

((لقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله ، وحثَّ عباده على التزود منه ، وكذلك السُّنَّة المطهرة ، فالعلم أفضل الأعمال الصالحة ، وأجلَّ العبادات ، عبادات التطوع ....)) . (٢)

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله :

((فلا ريب أن طلب العلم من أفضل القربات ، ومن أسباب الفوز بالجنة والكرامة لمن عمل به ، ومن أهم المهمات الإخلاص فى طلبه ، وذلك بأن يكون

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (ص١٥٢) .

(٢) ((العلم)) للشيخ العثيمين (١/ ١١) .

طلبه لله لا لغرض آخر ؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به ، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية فى الدنيا والآخرة)) . (١)

سُئل الشيخ عبد المحسن العباد . حفظه الله . :

هل يستحب تعلم القراءات والاشتغال بذلك عن الفقه فى الدين ؟

فأجاب :

((كون الإنسان يشتغل بها عن الفقه فى الدين ليس جيداً ، بل يتفقه فى الدين ويتعلم القراءات لكي يجمع بين الحسنيين)) . (٢)

(١) ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٢/ ٣٢٢) .

(٢) ((شرح سنن أبي داود)) للشيخ العباد (٤٦٧/ ٢٩) .

وفضله ،

المبحث الثاني

سبق العلم للعمل

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الحديد) .

وقال تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ﴾ (الأنعام:١٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (المائدة:١٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى:٥٢) .

قال ابن القيم رحمه الله :

((فإذا عدم القلب هذا النور صار بمنزلة الحيران الذى لا يدري أين يذهب ، فهو لحيرته وجهله بطريق مقصوده يؤم كل صوت يسمعه ، ولم يسكن قلوبهم من العلم ما تمتنع به من دعاة الباطل ، فإن الحق متى استقر فى القلب ؛ قوى به وامتنع مما يضره)) . (١)

ويبدو هذا واضحاً ؛ فقد نجد العابد الذى حُرم العلم مع ما هو فيه من تعبُّد إلا أنه يكون فى حيرة ؛ لأنه يعبد الله على جهل ، ونخشى عليه من دعاة الباطل ؛ لأنه لم يؤت الحجة العلمية التى تدفع عنه شبهات الباطل وخطوات الشيطان التى تلاحقه .

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (ص١٧٦) .

عن أبي هريرة ﷺ قال:« خِيَارُهُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِى الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا». (١)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

« وفيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه فى الدين » . (٢)

ومن هنا يُعلم أن الفقه والعلم لابد أن يسبق العمل حتى يحصل الشرف .

عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله فَإِنْ كَانُوا فِى الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِى السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِى الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْماً**» . (٣)

قال ابن القيم رحمه الله :

« إنما راعى التقديم بالعلم ثم بالعمل ، وراعى التقديم بالعلم الأفضل على غيره ، وهذا يدل على شرف العلم وفضله ، وإن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية » . (٤)

قال رسول الله ﷺ : « **لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ**

---

(١) البخاري (٣٣٥٣) .

(٢) « فتح الباري » (٦/ ٥٢٩) .

(٣) صحيح مسلم (٦٧٣) .

(٤) « مفتاح دارالسعادة » (٧٤) .

جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ)) . (١)

وقال الطيبي :

((إنما غيَّر السؤال فى الخصلة الخامسة حيث لم يقل : ((**وعن عمله ماذا عمل به**)) ؛ لأنها أهم شيء وأولاه ، وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا تعتد به لولا العمل)) . (٢)

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ((**كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ حَصِيرٌ وَكَانَ يُحَجِّرُهُ** (٣) **مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّى فِيهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَثَابُوا** (٤) **ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى الله مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ)) ، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ** . (٥)

---

(١) **إسناده حسن .**

أخرجه الترمذي (٢٤١٧) من طريق الأسود بن عامر ، عن أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جريج ، عن أبي برزة الأسلمي مرفوعاً به .

(٢) ((تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي)) (٧/ ٨٥) .

(٣) أي : يتخذه حجرة .

(٤) اجتمعوا ، وقيل : رجعوا للصلاة .

(٥) مسلم (٧٨٢) .

قال الإمام النووي رحمه الله :

((قوله ﷺ : ((**عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**)) أي : تطيقون الدوام عليه بلاضرر ، وفيه دليل على الحث على الاقتصاد فى العبادة واجتناب التعمق ....

وفى هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته ؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم المداومة عليه بلا مشقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً فتتم العبادة ، بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق ، فإنه بصدد أن يتركه أوبعضه ، أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب ؛ فيفوته خير عظيم ، وقد ذمَّ اللهُ سبحانه وتعالى من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها فقال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (الحديد:٢٧))) . (١)

ومن هذا يتضح أن علم الإنسان بهذا الأصل يجعله مداوماً على العمل والعبادة ومحافظاً عليه .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ((ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معصية الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن إلى غيره ، ألا لا خير فى عبادة ليس فيها تفقه ، ولا خير فى فقه ليس فيه تفهم ، ولا خير فى قراءة ليس فيها تدبر)) . (٢)

---

(١) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (٦/ ٧١) .

(٢) **إسناده حسن.**

ويبدو واضحاً فى كلام علي بن أبي طالب ﷺ أن العمل والعبادة لابد أن يسبقه العلم والتفقه وإلا فلاخير فيه .

عن عبد الرحمن بن المسور قال : ((كنا مع سعد بن أبي وقاص ﷺ فى قرية من قرى الشام ، فكان يصلي ركعتين ، فنصلي نحن أربعاً ، فنسأله عن ذلك فيقول سعد : نحن أعلم)) . (١)

ومن فضل العلم أن سعد بن أبي وقاص ﷺ أخذ نفسه بالرفق ليستمر .

.....
....

أخرجه أبو داود فى ((الزهد)) (١/ ١١٥) من طريق الوليد بن شجاع السكوني ، قال : ني أبي قال : ني زياد بن خيثمة ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي به .

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه الطحاوي فى ((شرح معاني الآثار)) (١/ ٥٤٠) من طريق ابن مرزوق ، نا وهب بن جرير، نا شعبة ، نا حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الرحمن بن المسور به .

وابن مرزوق هو إبراهيم بن مرزوق بن دينار الأموي ، أبو إسحاق البصري ، نزيل مصر ، مولى عثمان بن عفان ، روى عن حبان بن هلال ، وروح بن أسلم ، وروح بن عبادة ، وأبو داود الطيالسي ، وروى عنه النسائي ، والطحاوي ، وغيرهم .

قال عنه النسائي : ((صالح)) ، وفى موضع آخر : ((لا بأس به)) ، وقال الدارقطني : ((ثقة إلا أنه كان يراجع فلا يرجع)) ، وقال ابن يونس : ((كان ثقة ثبتاً)) ، وقال الذهبي : ((الحافظ الحجة نزيل مصر)) . انظر : ((تهذيب الكمال فى أسماء الرجال)) (٢/ ١٩٧) ، و((سير أعلام النبلاء)) (١٢/ ٣٥٤) .

قال الحسن البصري رحمه الله :

((لا يزال العبد بخير ما علم الذى يفسد عليه عمله .

قال يونس : إن منهم من يرى أنه على حق ، ومنهم من تغلب عليه شهوته)) . (١)

عن الحسن البصري رحمه الله قال :

((طلبنا هذا الأمر ونظرنا فلم نجد أحداً عمل عملاً بغير علم إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح)) . (٢)

سُئل الزهري : العلم أفضل أو العمل ؟

---

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي شيبة فى ((المصنف)) (٧/ ١٨٦) من طريق أبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي ، ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا يونس بن عبيد ، ثنا الحسن البصري به .

(٢) **إسناده حسن عن الحسن البصري .**

أخرجه عبد الله بن أحمد فى ((زوائده على الزهد)) (١/ ٤٨٦) من طريق الحسن بن عبد العزيز الجروي ، ثنا عمر بن أبي سلمة ، عن الحسن قوله .

وهو حسن الإسناد من أجل عمر بن أبي سلمة ، قال الإمام أحمد عنه : ((صالح إن شاء الله)) ، وقال الحافظ : ((صدوق يخطئ)) ، وقال أبو حاتم : ((صدوق لا يحتج به)) ، ووثقه غيره ، وقال : ((هو عندي صالح)) ، واستشهد به البخاري .

فقال : ((العلم أفضل لمن يجهل ، والعمل أفضل من العلم لمن يعلم)) . (١)

ومن هنا لابد للعمل أن يسبقه علم ، وفيها تقدم العلم عليه فى كلتا الحالتين .

قال الزهري :

((ما عُبِدَ الله بمثل الفقه)) . (٢)

قال ابن القيم رحمه الله :

((وقد يراد به أنه ما عُبد الله بعبادة أفضل من عبادة يصحبها الفقه فى الدين ؛ لعلم الفقيه بمراتب العبادات ومفسداتها وواجباتها وسننها وما يكملها وما ينقصها)) . (٣)

قال ابن محيريز (٤) :

---

(١) **إسناده لا بأس به .**

أخرجه البيهقي فى ((المدخل)) (١/ ٣٣١) من طريق أبو عبد الله الحافظ ، ثني محمد بن صالح بن هانئ ، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، ثنا أبي ، ثنا نعيم بن حماد ، ثنا ضمام بن إسماعيل ، عن عقيل ابن خالد ، عن الزهري قوله .

(٢) **إسناده صحيح .**

أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٥٦) من طريق معمر ، عن الزهري قوله .

(٣) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ٢١٩) .

(٤) هو عبد الله بن محيريز بن جنادة القرشي الجمحي ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، روى له

((كنا نرى أن العمل أفضل من العلم ، ونحن اليوم إلى العلم أحوج منا إلى العمل)) . (١)

سأل رجل سفيان فقال : يا أبا محمد ؛ العلم أفضل أم العمل ؟

قال : ((العلم ، أما تسمع قول الله ﷻ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ (محمد:١٩) ، فبدأ بالعلم قبل العمل)) . (٢)

.....

أصحاب الكتب الستة .

وقال عنه رجاء بن حيوة : ((إن فخر علينا أهل المدينة بابن عمر فإنا نفتخر بعابدنا ابن محيريز ، إن كنت لأعد بقاءه أماناً لأهل الأرض)) ، وذكره الذهبي .

ومن شيوخه من الصحابة أبو سعيد الخدري ، وأبو محذورة الجمحي ، وأم الدرداء ﷺ . انظر : ((تهذيب الكمال)) (٣٦٠٤) .

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه أبو نعيم فى ((حلية الأولياء)) (٥/ ١٤٣) من طريق أحمد بن إسحاق) وهو أحمد بن نبدار ابن إسحاق الشعَّار) ، ثنا عبد الله بن سليمان أبو بكر السجستاني ، ثنا عباس بن الوليد بن يزيد ، ثنا أبي ، ثنا الأوزاعي ، ثنا أسيد بن عبد الرحمن ، ثنا خالد بن دريك ، ثنا ابن محيريز قوله .

(٢) **إسناده صحيح عن سفيان بن عيينة .**

أخرجه البيهقي فى ((شعب الإيمان)) (٣/ ٢١٧) من طريق أبو محمد (وهو عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكوني) ، ثنا محمد بن عبد الله الشافعي ، ثنا جعفر بن محمد ، ثنا الغلابي (وهو المفضل بن غسان) ، ثنا أبو سهل المدائني به .

وقد بوَّب البخاري أيضاً باب : ((العلم قبل القول والعمل)) .

عن وهب بن منبه قال :

((إذا أردت أن تعمل بطاعة الله ﷻ فاجتهد فى نصحك وعلمك لله ، فإن العمل لا يقبل ممن ليس بناصح ، وإن النصح لله لا يكمل إلابطاعة الله ﷻ)) . (١)

وفيه تقديم العلم والنصح على العمل ، وأن النصح لابد له من علم .

.....

وأخرجه أبو نعيم فى ((حلية الأولياء)) (٧/ ٢٨٥) من طريق أبو محمد بن حيان ، ثنا أبي ، ثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله ، قال : أنبانا بعض أصحابنا ، ثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي الطرطوسي به .

كلاهما (أبو سهل المدائني ، وأبو توبة الربيع بن نافع) عن سفيان بن عيينة به .

(١) **إسناده حسن إن شاء الله .**

أخرجه أبو نعيم فى ((حلية الأولياء)) من طريق سليمان بن أحمد (وهو الطبراني) ، نا عبد الله بن محمد الكشوري الصغاني (المصنف) ، نا همام بن مسلمة بن سلمة بن عقبة ، نا غوث بن جابر ابن غيلان بن منبه ، نا غوث بن معقل ، نا وهب بن منبه به .

وإسناده حسن من أجل همام بن مسلمه ، وقد ذكره ابن حبان فى ((الثقات)) (٩/ ٢٤٧) ، وقال : ((همام بن مسلمة من ولد همام بن منبه من أهل اليمن ، يروي عن مالك بن أنس ، وروى عنه عبيد بن محمد الكشوري الصنعاني)) .

وقال عبد الوهاب بن محمد الكشوري : حدثني همام بن مسلمة صاحب الحكمة .

قال بعض العلماء :

((لولا العلم لم يطلب العمل ، ولولا العمل لم يطلب العلم ، ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إليَّ من أن أدعه زهداً فيه ...)) .(١)

ذكر الإمام أبو حامد الغزالي ﷺ حال ثلاثة فرق ، ثم قال :

((وأن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل ، وكأن العمل متمم له وسائق بالعلم إلى أن يقع موقعه ، ولأجله قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر:١٠) ، والكلم الطيب يرجع إلى العلم عند البحث ، فهو الذى يصعد ويقع الموقع ، والعلم كالخادم له يرفعه ويحمله ، وهذا تنبيه على علو مرتبة العلم)) .(٢)

قال ابن الجوزي ﷺ فى نصيحته لابنه :

((وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم ، فإن خلقاً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى ؛ إذ عملوا بغير علم)) .(٣)

---

(١) **إسناده صحيح إلى الدينوري .**

أخرجه الدينوري فى كتابه ((المجالسة وجواهر العلم)) (٥/ ٣٧) من طريق يوسف بن الضحاك ، نا ابن عائشة (وهو عبيد الله بن محمد بن حفص العيشي) ، قال : قال بعض العلماء به .

(٢) ((ميزان العمل)) (ص١٩٤) .

(٣) ((لفتة الكبد فى نصيحة الولد)) (ص١١) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

((ومن المعلوم أن العلم أصل العمل وصحة الأصول توجب صحة الفروع ، والرجل لا يصدر عنه فساد العمل إلا لشيئين : إما الحاجة ، وإما الجهل . فأما العالم بقبح الشيء الغني عنه فلا يفعله ، اللهم إلا من غلب هواه عقله ، واستولت عليه المعاصي فذاك لون آخر وضرب ثان)) . (١)

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

((والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ، ومراتبها فى الكتاب والسُّنَّة ، كما يعرف الخيرات الواقعة ، ومراتبها فى الكتاب والسُّنَّة ، فيفرق بين أحكام الأمور الكائنة والتى يراد إيقاعها فى الكتاب والسُّنَّة ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً على ما هو دونه ، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما ، ويجلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما ، فإن لم يعرف الواقع فى الخلق والواجب فى الدين لم يعرف أحكام الله فى عباده ، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، والعلم هو الطريق إلى العمل وسبب ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ (الكهف:٨٤) ، أي : علماً ، فالعلم بالخير سبب إلى فعله ، والعلم بالشر سبب إلى منعه)) (٢).

قال ابن القيم رحمه الله :

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٥٣) .

(٢) ((جامع الرسائل لابن تيمية)) رشاد سالم (٢/ ٣٠٥ ، ٣٠٦) بتصرف .

((إن العامل بلا علم كالسائر بلا دليل ، ومعلوم أنَّ عطب مثل هذا أقرب من سلامته ، وإن قدر سلامته اتفاقاً نادراً غير محمود بل مذموم عند العقلاء ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : ((من فارق الدليل ضل السبيل ، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ﷺ)) ....)) . (١)

قال ابن القيم رحمه الله :

((إن العلم إمام العمل وقائد له ، والعمل تابع له ، ومؤتم به ، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه ، كما قال بعض السلف : ((من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح)) ، والأعمال إنما تتفاوت فى القبول ، والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له ، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول ، والمخالف له هو المردود ، فالعلم هو الميزان وهو المحك)) . (٢)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

((العلم نور يستضيء به العبد ، فيعرف كيف يعبد ربه ، وكيف يعامل غيره ؛ فتكون مسيرته فى ذلك على علم وبصيرة ، ومنها أن العالم نور يهتدى به الناس فى أمور دينهم ودنياهم)) ، ثم ذكر قصة الرجل الذى من بني إسرائيل قاتل التسعة وتسعين نفساً ، وموقف العالم والعابد معه ، ثم قال : ((فانظر

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (ص١٢٠) .

(٢) ((مفاح دار السعادة)) (ص١١٩) .

الفرق بين العالم والجاهل)) (١) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أيضاً :

((**إن العابد حقاً** : هو الذى يعبد ربه على بصيرة ، ويتبين له الحق ، وهذه سبيل النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (يوسف) ، أيهما أبلغ فى تحقيق العبادة ؟ رجل يتطهر امتثالاً لأمر الله ، وامتثالاً لسُنَّة رسول الله ﷺ ، أم رجل يتطهر لأن هذا هو المعتاد عنده ؟

فالجواب :

لا شك أن الأول هو الذى يعبد ربه على بصيرة)) . (٢)

---

(١) ((شرح كشف الشبهات والأصول الستة)) (ص١٣٣) بتصرف يسير .

(٢) ((العلم)) للشيخ ابن عثيمين (١/ ١٢) .

المبحث الثالث

العلم عمل فى ذاته

عن يحيى بن أبي كثير أنه قال :

((تعليم الفقه صلاة ، ودراسة القرآن صلاة)) . (١)

قال الزهري : ((ما عُبِد الله بمثل الفقه)) . (٢)

قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على ذلك :

((وهذا الكلام ونحوه يراد أنه ما يُعبد الله بمثل أن يُعبد بالفقه فى الدين ، فيكون نفس التفقه عبادة)) . (٣)

ذكر بشر بن الحارث العلم وطلبه ، فقال :

((إذا لم يعمل به فتركه أفضل ، والعلم هو العمل ، فإذا أطعت الله علمك ، وإذا عصيته لم يعلمك)) . (٤)

---

(١) **إسناده حسن .**

أخرجه الخطيب فى ((الفقيه والمتفقه)) (١/ ١٠٣) ، وأبو نعيم فى ((الحلية)) (٣/ ٦٧) من طريق الحسين بن سلمة بن أبي كبشة ، ثنا محمد بن بكر ، ثنا حميد الكندي ، ثنا يحيى بن أبي كثير قوله .

(٢) **إسناده صحيح .** تقدم تخريجه

(٣) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ١١٩) .

(٤) **إسناده حسن إن شاء الله .**

أخرجه أبو نعيم فى ((حلية الأولياء)) (٨/ ٣٤٠) من طريق أبو بكر محمد بن أحمد المفيد ، ثنا عبد الرحمن بن داود بن منصور الفارسي ، نا الفضل بن عباس الحلبي ، نا أبا نصر بشر بن

وفيه أن بشر الحافي اعتبر أن العلم وطلبه يعد عملاً فى ذاته ، وهو من أفضل الأعمال ، كما فى الآثار السابقة .

قال الخطيب البغدادي رحمه الله :

((طلب الحديث فى هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع ؛ لأجل دروس [١] السنن وخمولها ، وظهور البدع واستعلاء أهلها)) . [٢]

ومن هنا تكون دراسة الحديث ومذاكرته عمل ، بل من أفضل الأعمال .

قال السيوطي رحمه الله :

((واعلم أن العالم لا يدخل عليه إبليس إلا مسارقة ، وأما المتعبدون بلا علم فإنه يلبس عليهم فى فنون التعبد أشياء يعتقدونها فضيلة ، أو أفضل من غيرها ، وهي بخلاف ما يظنون ؛ منها : إيثارهم التعبد على العلم ، والعلم

.....

الحارث وهو بشر الحافي به .

والفضل بن العباس هو أبو العباس البغدادي الحلبي ، وروى عن عفان بن مسلم ، ومحمد بن حاتم ، ومعاوية بن عمرو الأزدي ، وروى عنه النسائي ، وعلي بن الحسن بن العبد (صاحب أبي داود) وهو ثقة . انظر : ((تهذيب الكمال)) (٥٤٠٦) .

وعبد الرحمن بن داود بن منصور الفارسي ، رحال روى عنه الأصبهانيون ، وكان فقيهاً كثير الحديث . انظر : ((تاريخ الإسلام)) (٧/ ٣٨٧)

(١) دروس : من درس ، ومعناها : عفا وخفيت آثاره . ((المصباح المنير)) (١/ ١٩٢) .

(٢) ((شرف أصحاب الحديث)) (ص٨٦) .

أفضل من نوافل العبادات ، فيرون أن المقصود من العلم العمل ، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح ، وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل الجوارح ، وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح .

وقال المعافى بن عمران : كتابة حديث واحد أحب إليَّ من صلاة ليلة . (١)))(٢).

قال ابن الحاج رحمه الله :

((وليُحذر أن يتكلف من العمل ما عليه فيه مشقة ، أو يخل باشتغاله منه بالعلم ؛ إذ إنَّ اشتغاله بالعلم أفضل ، وهذا بابٌ كثيراً ما يدخل منه الشيطان على المشتغلين بالعلم ، إذا عجز عن تركهم له ، فيأمرهم بكثرة الأوراد حتى ينقص اشتغالهم ؛ لأن العلم هو العدة التى يتلقى بها ، ويُحذر منه بها ، فإذا عجز عن الترك رجع إلى باب خير ، وعادة الشيطان لا يأمر بخير فيلتبس الأمر على الطالب ويخل بحاله .

وكان أبو محمد رحمه الله - المرجاني - يقول : ينبغي لطالب العلم أن يكون عمله فى علمه مثل الملح فى العجين إن عدم منه لم ينتفع به ، والقليل منه يصلحه)) . (٣)

---

(١) **إسناده صحيح** . سوف يأتي تخريجه

(٢) ((حقيقة السنة والبدعة)) للسيوطي (١/ ١٦٧) .

(٣) ((المدخل)) لابن الحاج (٢/ ١٣٤) .

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله :

((وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية ، لكن بكونها خالصةً لله ﷻ ، صواباً على متابعة السُّنَّة ، وبكثرة معارف القلوب وأعمالها ، فمن كان لله أعرف وبدينه وأحكامه وشرائعه ، وله أخوف وأحبُّ وارجى ، فهو أفضل ممن ليس كذلك ، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح ، ولهذا المعنى الإشارة فى حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبي ﷺ : ((**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى الله ، وَإِنْ قَلَّ**)) (١))) . (٢)

ووجه الدلالة من كلام ابن رجب رحمه الله : قوله : ((فمن كان بالله أعرف ، وأحكامه وشرائعه وله أخوف ، وأحب وأجرى ، فهو أفضل ممن ليس كذلك ، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح)) .

قال الشوكاني رحمه الله : ((وأما العمل بما ورد فى الكتاب والسُّنَّة والتشاغل به ، فقد وقع الكلام فى أيهما أولى ، يعني هل العلم أو العمل .

والإنصاف أن يقال : كل ما زاد على ما هو فى حق المكلَّف فرض عين ، فالناس فيه على قسمين ، من وجد من نفسه قوة على الفهم والتحرير ، فتشاغله بذلك أولى من إعراضه عنه ، وتشاغله بالعبادة ، لما فيه من النفع المتعدي ، ومن وجد من نفسه قصوراً ، فإقباله على العبادة أولى به ، لعسر

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٦٤) .

(٢) ((مجموع رسائل ابن رجب)) (٤/ ٤١٢) .

اجتماع الأمرين)) . (١)

ويفهم من كلام الشوكاني رحمه الله : أن التشاغل بالعلم - لمن هو أهل لذلك - عبادة فى ذاته ، بل هو أفضل له من العبادة وحدها .

(١) ((نيل الأوطار)) (٨/ ١٢٢) .

الباب الثاني

فضل العلم

على نوافل العبادات

المبحث الأول

فضل طلب العلم

على جميع نوافل العبادات

وفضل العالم على العابد

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن نبي الله ﷺ قال : ((**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لاَ ، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ .... **)) الحديث . (١)

وفيه تفضيل العلم على العبادة ، فإن الراهب عابد .

قال القرطبي رحمه الله :

((وبهذا يعلم فضل العلم على العبادة ؛ لأن الأول غلبت عليه الرهبانية واغتر بوصف الناس له بالعلم ، فأفتى بغير علم ، فهلك فى نفسه ، وأهلك غيره ، والثاني كان مشتغلاً بالعلم ومعتنياً به ، فوفِّق للحق ، فأحياه الله وأحيا به)) . (٢)

قال أبو هريرة ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة:١١) :

((فضل العالم على العابد درجات)) . (٣)

---

(١) البخاري (٣٤٧٠) ، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٢) ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)) أبو العباس القرطبي (٢٢/ ١٢٩) .

(٣) **إسناده حسن.**

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ((معلم الخير يستغفر له ، أو يشفع له كل شيء ، حتى الحوت فى البحر)) . (١)

واعلم أن للعلم ما ليس للعبادة ، وللعالم ما ليس للعابد .

عن عون بن عبد الله بن عتبة قال :

.....

أخرجه ابن الأعرابي فى ((معجمه)) (١/ ٣٩٨) من طريق محمد بن علي ، نا محمد بن أبي الأزهر، نا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة به .

وهذا إسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة ، وهو ابن أبي النجود ، روى عن أبي صالح السمان ، وزر بن حبيش ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وعنه أبو بكر بن عياش ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وغيرهم .

وذكر ابن سعد أنه كان ثقة ، إلا أنه كثير الخطأ فى حديثه ، وقال عنه الإمام أحمد : ((كان خيرٌ ثقة والأعمش أحفظ منه)) ، وقال عنه يحيى بن معين : ((لا بأس به)) ، وقال الدارقطني : ((فى حفظه شيء)) . انظر : ((تهذيب الكمال)) (٣٠٥٤) .

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي شيبة فى ((المصنف)) (٥/ ٢٨٤) من طريق أبو معاوية الضرير ، عن الأعمش به .

وأخرجه البيهقي فى ((المدخل)) (١/ ٢٧٣) من طريق أبو طاهر الفقيه ، ثنا أبو حامد بن بلال (وهو محمد بن يحيى النيسابوري) ، ثنا أبو الأزهر (وهو أحمد بن الأزهر بن منيع) ، ثنا أبو قتيبة به .

كلاهما (الأعمش ، وأبو قتيبة) عن شمر بن عطية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به .

((لقد أتينا أم الدرداء فتحدثنا عندها فقلنا : أمللناك يا أم الدرداء ، فقالت: ((ما أمللتموني لقد طلبت العباد ة فى كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ، ولا أحرى أن أصيب به الدين من مجالس الذكر)) . (١)

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : ((ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معصية الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن إلى غيره ، ألا لا خير فى عبادةٍ ليس فيها تفقه ، ولا خير فى فقه ليس فيه تفهم ، ولا خير فى قراءة ليس فيها تدبر)) . (٢)

ومن هنا يتبين لنا أن الفقه خير من نوافل العبادة ، وأن العبادة – بلا فقه

---

(١) **إسناده صحيح إلى أم الدرداء ﷺ.**

أخرجه عبد الله بن أحمد فى ((الزهد لأحمد مسائل عبد الله)) (١/ ١٣٦) من طريق خديجة أم محمد، قال : وكانت تجيء إلى أبي فتسمع منه وتحدثنا ، قالت : حدثني إسحاق الأزرق (وهو إسحاق بن يوسف الأزرق) ، حدثني المسعودى (وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود) ، عن عون بن عبد الله بن مسعود به .

وله طريق آخر :

أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (٤/ ٢٧٠) من طريق يزيد بن هارون ، ثنا المسعودي ، عن عون بن عبد الله به .

(٢) **إسناده حسن.**

أخرجه أبو داود فى ((الزهد)) (١/ ١١٥) من طريق الوليد بن شجاع السكوني ، قال : ثني أبي ، قال : ثني زياد بن خيثمة ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي قال به .

وعلم – لا خير فيها .

عن إسحاق بن سويد قال : تعبد عبد الله بن مطرف ، فقال له أبوه : أي عبد الله العلم أفضل من العمل ، والسيئة بين السيئتين ، وشر الشيئين الحقحقة)) . (١)

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله :

((كذا السيئة بين الحسنتين ، وقيل قيل : الحسنة بين السيئتين ، يعني بترك الغلو والتقصير)) .

وقد ورد عن مطرف بن عبد الله الشخير أنه قال :

---

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (٢/ ٢٣٨) من طريق أبو حامد محمد بن أحمد الجرجاني ، نا أحمد بن موسى بن العباس العدوي ، نا إسماعيل بن سعيد الكسائي ، نا ابن علية ، عن إسحاق بن سويد، قال مطرف به .

ومحمد بن أحمد الجرجاني ذكره الخطيب فى ((تاريخ بغداد)) بكنيته (أبو أحمد محمد بن أحمد الفقيه الجرجاني) ، وقال الذهبي عنه : ((الإمام الحافظ المجود الرحال مسند وقته ، وكان مع حفظه صواماً قواماً متعبداً)) ، وأحمد بن موسى بن العباس العدوي : ((صدوق)) ، وإسماعيل الكسائي : ((ثقة مأمون)) .

وله طريق آخر :

أخرجه البيهقي فى ((شعب الإيمان)) (٣/ ٤٠٢) من طريق القاسم بن سلام ، نا ابن علية ، عن إسحاق بن سويد ، قال مطرف به .

((فضل العلم أفضل من العبادة ، وخير دينكم الورع)) . (١)

وقد قال ابن القيم ﷺ معلقاً على ذلك :

((إذا كان كل من العلم والعمل فرضاً فلابد منهما كالصوم والصلاة ، فإذا كانا فضلين وهما النفلان المتطوع بهما ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها؛ لأن العلم يعم صاحبه والناس معه ، والعبادة يختص نفعها بصاحبها ، ولأن العلم تبقى فائدته وعلمه بعد موته ، والعبادة تنقطع عنه)) . (٢)

((**قيل لإياس بن معاوية :**

العالم أفضل أم العابد ؟

قال : العالم .

قالوا : فقل لنا حتى نعرفه .

قال : فقال : ما ترون ، يعني البنَّاء يجئ بهذا يتعلم الجص(٣) وهذا ينقل

---

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه البيهقي فى ((شعب الإيمان)) (٢/ ٢٦٥) من طريق أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس =

= محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن عبيد الله المنادى ، ثنا يونس بن محمد ، ثنا حماد ، عن قتادة ، عن مطرف به .

(٢) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ١٢٠) .

(٣) الجص : معروف وهو ما يطلى به . وليس الجص بعربي ، وهو من كلام العجم ، وجصص

الآجر[١] وهذا مهين ، فإذا كان نصف النهار أتى بشربة سويق [٢] فشرب ، فإذا كان الليل أعطى كل رجل منهم درهماً فأعطى هذا أربعة دراهم أو خمسة دراهم)) . [٣]

ويُشبَّه العالم كرئيس العمال الذى يعمل قليلاً ويؤجر كثيراً ، وهو الذى يوجِّه عماله ، فمنهم من يقوم بنقل مواد البناء ، ومنهم من يقوم بالطلاء ، ثم هو الذى يأخذ المال ويوزعه عليهم ، بعد أن يتناول شرابه ، فالعابد يعمل كثيراً ويكون أجره أقل من العالم ، وكما قال الشاعر فى ذلك :

من لي بمثل سيرك المدللِ تمشى رويداً وتجيء فى الأول

وهذا تشبيه للعالم والعابد .

قال الزهري رحمه الله :

((ما عبد الله بمثل الفقه)) . [٤]

.....

الحائط وغيره أي طلاه بالجص . انظر : ((لسان العرب)) (٧/ ١٠)

(١) الآجر : وهو طبيخ الطحين . المصدر السابق (١/ ٥٩) .

(٢) السويق : هو ما يتخذ من الحنطة والشعير . المصدر السابق (٧/ ٣٠٦) .

(٣) **إسناد رجاله ثقات .** إلا أن عمر بن علي بن مقدم كان يدلس وما كان به بأس .

أخرجه الفسوي فى ((المعرفة والتاريخ)) (٢/ ٩٥) من طريق سليمان بن حرب ، نا عمر بن علي بن مقدم ، عن سفيان بن حسين ، عن إياس بن معاوية به .

(٤) **إسناده صحيح .**

وقال ابن القيم رحمه الله معلقاً على ذلك :

((وهذا الكلام - ونحوه - يراد به أنه ما يُعبد الله بمثل أن يُعبد بالفقه فى الدين، فيكون نفس التفقه عبادة ....

وقد يراد به أنه ما عُبد الله بعبادة أفضل من عبادة يصحبها الفقه فى الدين لعلم الفقيه فى دينه بمراتب ، العبادات ، ومفسداتها ، وواجباتها ، وسننها ، وما يكملها، وما ينقصها ، وكلا المعنيين صحيح)) . (١)

قال زيد بن أسلم فى تفسير قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام:٨٣) :

((إنه العلم ، يرفع الله به من يشاء فى الدنيا)) . (٢)

وليس هذا للعابد .

((**سُئل مالك بن أنس فقيل له** : يا أبا عبد الله ؛ أي شيء أفضل ما يصنعه

.....
....

أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٥٦) من طريق معمر ، عن الزهري به .

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ١١٩) .

(٢) **إسناده صحيح.**

أخرجه ابن أبي حاتم فى ((تفسيره)) (٤/ ١٣٣٥) من طريق أبو زرعة الرازي ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الغمر ، ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : قال مالك : سمعت زيد بن أسلم يقول به .

العبد ؟

قال : طلب العلم والفقه ، أما سمعت قوله ﷻ : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٢))) . (١)

ومن كلام الإمام مالك رحمه الله يتبين لنا أن طلب العلم أفضل من جميع نوافل العبادات .

وقال عبد الله بن وهب صاحب مالك :

((وكان أول أمري فى العبادة قبل أن أطلب العلم فولع بي الشيطان فى ذكر عيسى ابن مريم كيف خلقه الله ﷻ ؟ ونحو هذا ، فشكوت ذلك إلى شيخ ، فقال : ابن وهب ! قلت : نعم ، قال : اطلب العلم . فكان سبب طلبي العلم)) . (٢)

قال الشافعي رحمه الله :

((ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم .

قيل له : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟

---

(١) **إسناده رجاله معدلون .**

أخرجه الجوهري فى ((مسند الموطأ)) (١/ ٨٦) من طريق أبو علي الحسن بن علي بن سفيان ، ثنا أحمد بن مروان أبو بكر الدينوري ، ثنا إبراهيم بن ديزيل الملقب بـ (سفينة) ، نا ابن أبي أوس، نا مالك بن أنس به . وقد تقدم ذكره .

(٢) ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (١/ ١٣٧) ، ولم أقف عليه مسنداً .

قال : ولا الجهاد فى سبيل الله ﷻ)) . (١)

قال إسحاق بن راهويه :

((**قلت لأحمد** : من قال : تَذَاكُر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها ؟

قال : العلم الذى ينتفع به الناس فى أمر دينهم .

قلت : فى الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا ؟

قال : نعم .

قال إسحاق : كما قال)) . (٢)

قال الخطيب البغدادي رحمه الله :

((طلب الحديث فى هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع ؛ لأجل دروس السنن وخمولها ، وظهور البدع واستعلاء أهلها)) . (٣)

قال ابن الجوزي رحمه الله :

---

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه البيهقي فى ((المدخل)) (١/ ٣١٠) من طريق أبو عبد الله الحافظ ، انبا أبو الوليد الفقيه (وهو حسان بن محمد الفقيه شيخ خراسان) ، ثنا جعفر بن أحمد الشاماتي ، قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول به .

(٢) ((مسائل الكوسج)) (٦/ ٤٦٥٤) .

(٣) ((شرف أصحاب الحديث)) (ص٨٦) .

((**ومثلت العلماء والزهاد العاملين صنفين** : فأقمت فى صف العلماء : مالكاً ، وسفيان ، وأبا حنيفة ، والشافعي ، وأحمد .

وفى صف العباد : مالك بن دينار ، ورابعة ، ومعروفاً الكرخي ، وبشر بن الحارث .

فكلما جد العباد فى العبادة ، صاح بهم لسان الحال : عباداتكم لا يتعداكم نفعها ، وإنما يتعدى نفع العلماء ، وهم ورثة الأنبياء ، وخلفاء الله فى الأرض ، وهم الذين عليهم المعول ، ولهم الفضل إذا أطرقوا وانكسروا ، وعلموا صدق تلك الحال)) . (١)

قال تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ (يوسف:٧٦) ، قال زيد بن أسلم : بالعلم . (٢)

((فرفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان ، فكم من يختم القرآن فى اليوم مرة أو مرتين ، وآخر لا ينام الليل ، وآخر لا يفطر ، وغيرهم أقل عبادة منهم ، وأرفع قدراً فى قلوب الأمة ، فهذا كرز بن وبرة ، وكهمس ، وابن طارق ، يختمون القرآن فى الشهر تسعين مرة ، وحال ابن المسيب وابن سيرين والحسن وغيرهم فى القلوب أرفع ، وكذلك ترى كثيراً ممن لبس الصوف ويهجر الشهوات ويتقشف ، وغيره ممن لا يدانيه فى ذلك من

---

(١) ((صيد الخاطر)) (١/ ٥٧) .

(٢) **صحيح** . تقدم تخريجه

أهل العلم والإيمان أعظم فى القلوب وأحلى عند النفوس ، وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة ، وخلوصها من شهوات النفوس وأكدار البشرية)) . (١)

قال شيخ الإسلام رحمه الله فى ذكر أولياء الله عز وجل :

((فمن كان عالماً بما أمر الله به وما نهاه عنه ، عاملاً بموجب ذلك ، كان من أولياء الله ، سواءً كانت لبسته فى الظاهر لبسة العلماء ، أو الفقراء ، أو الجند ، أو التجار ، أو الصناع ، أو الفلاحين، لكن إن كان مع ذلك متقرباً إلى الله بالنوافل؛ كان أفضل من غيره من أولياء الله ، كما قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة:١١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

((للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة)) . (٢)

فمن كان جاهلاً بما أمر الله به وما نهاه عنه ، لم يكن من أولياء الله ، وإن كان فيه زهادة وعبادة لم يأمر الله ورسوله ﷺ بها : كالزهد والعبادة التى كانت فى الخوارج والرهبان ونحوهم)) . (٣)

قال ابن رجب رحمه الله :

((**ونحن إنما نقول** : إن العلماء بالله والعلماء بأمره أفضل من العبَّاد ، ولو

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (١٦/ ٤٩) .

(٢) ذكره الإمام الغزالي فى ((إحياء علوم الدين)) (١/ ٥) ، ولم أقف عليه مسنداً .

(٣) ((المستدرك على مجموع الفتاوى)) (١/ ١٦٤) .

كان العبَّاد من العلماء بالله ؛ لأن العلماء الربانيين شاركوا العبَّاد فى فضيلة العلم بالله ، بل ربما زادوا عليهم فيه ، وانفردوا بفضيلة العلم بأمر الله ، وبفضيلة دعوة الخلق إلى الله وهدايتهم إليه ، وهو مقام الرسل عليهم السلام ، وكذلك كانوا خلفاء الرسل وورثتهم .... وهذا القدر الذى انفردوا به - عن العبَّاد - أفضل من القدر الذى انفرد به العبَّاد من نوافل العبادة ، فإن زيادة المعرفة بالله والإيمان به ، وجنس المعرفة بالله والإيمان به أفضل من جنس العمل بالجوارح والأركان ، ولكن من لا علم له تعظم فى نفسه العبادات على العلم ؛ لأنه لا يتصور حقيقة العلم ولا شرفه)) . (١)

قال ابن رجب رحمه الله بعد ذكر كلام فى فضل العلم :

((ولهذا المعنى كان فضل العلم النافع الدال على معرفة الله وخشيته ، ومحبته ، ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه - لاسيما عند غلبة الجهل والتعبد به - أفضل من التطوع بأعمال الجوارح)) . (٢)

قال ابن القيم رحمه الله :

((الآدمي إذا كان صالحاً لاصطفاء الله له برسالته ونبوته اتخذه رسولاً نبياً ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام:١٢٤) ، فإذا كان جوهره قاصراً عن هذه الدرجة صالحاً لخلافة النبوة وميراثها رشحه لذلك

---

(١) ((مجموع رسائل ابن رجب)) (١/ ٤٢) .

(٢) ((لطائف المعارف)) (ص٢٥٥) .

وبلغه إياه ، فإذا كان قاصراً عن ذلك قابلاً لدرجة الولاية رشح لها ، وإن كان مما يصلح للعمل والعبادة دون المعرفة والعلم ؛ جعل من أهله ، حتى ينتهي إلى درجة عموم المؤمنين ، فإذا نقص عن هذه الدرجة – ولم تكن نفسه قابلة لشيء من الخير أصلاً – ، استعمل حطباً ووقوداً للنار)) . (١)

ويتبين لنا من كلام ابن القيم رحمه الله وقوله : ((وإن كان ممن يصلح للعمل والعبادة دون المعرفة والعلم ....)) :

أن العلم أفضل من جميع نوافل العبادة ، ومرتبة العالم أرفع من مرتبة العابد.

قال ابن القيم رحمه الله :

((فالدين قوامه وزينته وإضاءته بعلمائه وعُبَّاده ، فإذا ذهب علماؤه وعُبَّاده ، ذهب الدين ، كما أن السماء إضاءتها وزينتها بقمرها وكواكبها ، فإذا خسف قمرها وانتشرت كواكبها أتاها ما توعد ، وفضل علماء الدين على العُبَّاد كفضل ما بين القمر والكواكب ، فإن قيل : كيف وقع تشبيه العالم بالقمر دون الشمس وهي أعظم نوراً ، **فيه فائدتان** :

إحداهما : أن نور القمر لما كان مستفاداً من غيره ، كان تشبيه العالم – الذى نوره مستفاد من شمس الرسالة – بالقمر أولى من تشبيهه بالشمس .

الثانية : أن الشمس لا يختلف حالها فى نورها ، ولا يلحقها محاق ، ولا تفاوت فى الإضاءة ، وأما القمر فإنه يقل نوره ويكثر ويمتلئ وينقص ، كما أن

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (ص١٥٢) .

العلماء – فى العالم – على مراتبهم من كثرته وقلته ، فيفضل كل منهم فى علمه ، بحسب كثرته وقلته ، وظهوره وخفائه ، كما يكون القمر كذلك .

فعالم كالبدر ليلة تمه ، وآخر دونه بليلة ثانية وثالثة وما بعدها إلى آخر مراتبه ، وهم درجات عند الله)) . (١)

ذكر السيوطي فى ((قوت المغتذي)) ، قال :

قال البيضاوي : ((العبادة كمال ونور ملازم ذات العابد لا يتخطاه ، فشابه نور الكواكب ، والعلم كمال يوجب للعالم فى نفسه شرفاً وفضلاً ، ويتعدى منه إلى غيره ، فيستضيء بنوره ، ويكمل بواسطته ، لكنه كمال ليس للعالم من ذاته ، بل نور يتلقاه من النبي ﷺ)) . (٢)

قال السيوطي رحمه الله :

((واعلم أن العالم لا يدخل عليه إبليس إلا مسارقة ، وأما المتعبدون بلاعلم فإنه يلبس عليهم – فى فنون التعبد – بأشياء يعتقدونها فضيلة ، أو أفضل من غيرها ، وهي بخلاف ما يظنون ؛ منها : إيثارهم التعبد على العلم ، والعلم أفضل من نوافل العبادات)) . (٣)

قال البهوتي رحمه الله :

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (ص٩٧) .

(٢) ((قوت المغتذي على جامع الترمذي)) (٢/ ٦٧١) .

(٣) ((حقيقة السنة والبدعة)) (ص١٦٧) .

((إذا تفرغ القادر على التكسب لطلب العلم ، وتعذر الجمع بين طلب العلم والتكسب ، أنه يعطي ، لا إن تفرغ للعبادة لقصور نفعها)) . (١)

وقال تعالى : ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة:٦٠) .

((يشمل إعطاء الزكاة للمجاهدين أنفسهم ، وشراء الأسلحة لهم ، فشراء الأسلحة من الزكاة جائز ، من أجل الجهاد فى سبيل الله .

قال أهل العلم : ومن ذلك أن يتفرغ شخص لطلب العلم وهو قادر على التكسب ، لكنه تفرغ من أجل أن يطلب العلم ، فإنه يعطي من الزكاة مقدار حاجته ؛ لأن طلب العلم جهاد فى سبيل الله ، أما من تفرغ للعبادة فلا يعطى من الزكاة ، بل يقال : اكتسب ، وبهذا عرفنا شرف العلم على العبادة)) . (٢)

وقال شيخنا ـ حفظه الله ـ :

((لو قدر على الكسب – ولكن أراد الاشتغال بالعبادة – لم يعط من الزكاة قولاً واحداً)) . (٣)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

((العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه وكيف يعامل غيره فتكون سيرته فى ذلك على علم وبصيرة ، ومنها أن العالم نور يهتدي به الناس

---

(١) ((كشاف القناع)) (٢/ ٢٨٧) .

(٢) ((شرح رياض الصالحين)) للعثيمين (١/ ٤٢٧) .

(٣) ((طالب العلم حقوقه وآدابه)) لشيخنا أبي يحيى (ص٩٣) .

فى أمور دينهم ودنياهم ... وذكر قصة الرجل الذى من بني إسرائيل الذى قتل تسعاً وتسعين نفس وسؤاله للعالم والعابد .

ثم قال : ((فانظر الفرق بين العالم والجاهل)) . (١)

وقال رحمه الله : ((إن العلم عبادة من أفضل العبادات وأجلها وأعظمها ، حتى جعله الله تعالى عديلاً للجهاد فى سبيل الله)) . (٢)

(١) ((شرح كشف الشبهات والأصول الستة)) (١/ ١٣٣) .

(٢) ((فتاوى نور على الدرب)) للعثيمين (٢٣/ ٢) .

فضل دراسة العلم على الصلاة النافلة

عن مطرف قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول :

((مذاكرة العلم ساعة خيرٌ من إحياء ليلة)) . (١)

عن ابن وهب قال : ((كنت عند مالك بن أنس - فجاءت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه ، وأنظر فى العلم بين يديه - وجمعت كتبي وقمتُ لأركع.

فقال لي مالك : ما هذا ؟

قلت : أقوم للصلاة .

قال : إن هذا لعجب ، فما الذى قمت إليه بأفضل من الذى كنتَ فيه إذا صحت النيَّة فيه)) . (٢)

---

(١) **إسناده حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما.**

أخرجه البيهقي فى ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (١/ ٣٠٥) من طريق أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو بكر محمد بن أحمدبن بالويه ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، عن قتادة ، عن مطرف ، قال : سمعت ابن عباس يقول به .

ورواية معمر عن قتادة على شرط مسلم .

(٢) **إسناده صحيح.**

أخرجه ابن عبد البر فى ((جامع بيان العلم وفضله)) (١/ ١٤١) من طريق أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي ، ثنا أبي ، ثنا محمد بن فطيس ، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ثنا ابن وهب ، ثنا مالك قوله .

قال القعنبي [١] :

((لو أعلم أن الصلاة أفضل منه (أي الحديث) ما حدثت)) . [٢]

عن عبد الله بن المبارك قال :

((لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم)) . [٣]

---

(١) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي ، أبو عبد الرحمن المدني البصري ، ثقة عابد كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه فى ((الموطأ)) أحداً . قاله الحافظ
وقال عنه الذهبي : ((أحد الأعلام)) ، قال أبو حاتم : ((ثقة حجة لم أر أخشع منه)) ، وقال أبو زرعة : ((ما كتبت عن أحد أجل فى عيني منه)) . ((تهذيب الكمال)) (٣٦٢٠) .

(٢) إسناده ثابت .

أخرجه الخطيب البغدادي فى ((شرف أصحاب الحديث)) (ص٨٤) من طريق أبو الحسن علي بن يحيى بن جعفر الأصبهاني ، نا عبد الله بن الحسن بن بندار ، نا عبد الله بن محمد بن النعمان ، نا أبي، نا القعنبي به .
وعبد الله بن محمد بن النعمان هو أبو بكر التيمي الأصبهاني الزاهد ، سمع أباه ، وأبو نعيم ، وعنه أبو علي الصحاف ، وعبد الله بن الحسن بن بندار ، وغيرهم ، وكان ثقة صالحاً من أولياء الله . انظر : ((تاريخ الإسلام)) (٦/ ٧٦٨) .

(٣) إسناده حسن .

أخرجه الخطيب البغدادي فى((شرف أصحاب الحديث)) (ص١١٣) من طريق أبو سعيد الماليني، نا عبد الله بن عدي الحافظ ، نا أبو الخصيب أحمد بن المستنير المصيصي ، نا عبده بن عبد الرحيم المروزي ، نا ابن المبارك به .
وإسناده حسن من أجل عبده بن عبد الرحيم المروزي وهو صدوق .

قال الربيع بن سليمان :

((**سمعت الشافعي يقول** : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)) . (١)

قال عبد الله بن أحمد :

((لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي فكان كثير المذاكرة له ، فسمعت أبي يوماً يقول : ما صليت غير الفرائض ، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي)) . (٢)

.....

وقد ورد أيضاً عن وكيع أنه قال : ((لولا أن الحديث أفضل عندي من التسبيح ما حدثت)) .

أخرجه الخطيب البغدادي فى ((شرف أصحاب الحديث)) (ص٨٢) من طريق أبو الفتح هلال بن جعفر الحفار ، نا علي بن محمد بن أحمد المصري ، نا أبو بكر بن علي ، نا يوسف بن موسى القطان، نا وكيع به .

وأبو بكر بن علي أظنه أحمد بن علي بن سعيد أبو بكر وهو ثقة .

(١) ((مسند الشافعي)) (١١/ ٢٤٩) .

(٢) **إسناده يحسن.**

أخرجه أبو يعلى فى ((طبقات الحنابلة)) (١/ ١٩٩) من طريق أبي القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهري ، ثنا أبي عبد الله بن بطة ، ثنا أبو حفص بن رجاء (وهو عمر بن محمد بن رجاء) ، ثنا أحمد به .

وذكره الخطيب البغدادي فى ((تاريخ بغداد)) (١٠/ ٣٢٦) من طريق إبراهيم بن عمر البرمكي ، نا ابن بطة ، نا أبو حفص بن رجاء ، نا أحمد به .

سُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

((أيهما أفضل قيام الليل ، أم طلب العلم ؟

فاجاب فضيلته بقوله :

طلب العلم أفضل من قيام الليل ؛ لأن طلب العلم ، كما قال الإمام أحمد : ((لا يعدله شيء لمن صحت نيته ، ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره)) .

فإذا كان الإنسان يسهر أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله ، سواءً كان يدرسه أو يعلمه الناس ، فإنه خيرٌ من قيام الليل ، وإن أمكنه أن يجمع الأمرين فهو أولى ، لكن إذا تزاحم الأمران فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى ، ولهذا أمر النبي ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه أن يوتر قبل أن ينام .

قال العلماء : وسبب ذلك أن أبا هريرة كان يحفظ أحاديث النبي ﷺ أول الليل وينام آخره ، فأرشده النبي ﷺ أن يوتر قبل أن ينام (١))) . (٢)

وسُئل أيضاً رحمه الله :

((أيهما أفضل : مخالطة الناس بعد العشاء ؛ لتعليمهم وإرشادهم ونصحهم - بحيث لا يمكن قيام الليل - ، أو اعتزالهم حتى يتم القيام ؟

---

(١) صحيح البخاري (١٩٨١) ، ولفظه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : ((صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام)) .

(٢) ((كتاب العلم)) (ص١٤٦) .

فأجاب قائلاً :

طلب العلم أفضل من قيام الليل ...)) . [١]

(١) المصدر السابق (ص١١٣) .

فضل دراسة العلم على نافلة الصيام

((حدث محمد بن أبي الثلج ، **قال** : حدثني جدي .

قال : سألت أحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله ؛ أيهما أحب إليك : الرجل يكتب الحديث ، أو يصوم ويصلي ؟

قال : يكتب الحديث .

قلت : فمن أين فضلت كتاب الحديث على الصوم والصلاة ؟

قال : لئلا يقول قائل : إني رأيت قوماً على شيء فاتبعتهم)) . (١)

قال ابن رجب رحمه الله :

((ونص كثير من الأئمة على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ، وكذلك الاشتغال بتطهير القلوب أفضل من الاستكثار من الصوم والصلاة – مع غش القلوب ودغلها – ، ومثل من يستكثر من الصوم والصلاة مع دغل القلب وغشه، كمثل من بذر بذراً فى أرض دغلة كثيرة الشوك فلا يزكوا ما

---

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه ابن شاهين فى ((شرح مذاهب أهل السنة)) (ص٣٨٥) من طريق محمد بن أحمد بن أبي الثلج البلخي ، نا جدي محمد بن إسماعيل بن أبي الثلج ، نا أحمد بن حنبل به .

ومحمد بن إسماعيل بن أبي الثلج صاحب الإمام أحمد ، وهو ((صدوق)) ، كما قال عنه الحافظ ابن حجر ، ذكره فى ((التقريب)) .

ينبت فيها)) . (١)

(١) ((لطائف المعارف)) لابن رجب (ص٢٥٥) .

الإجماع على تفضيل الاشتغال بالعلم

على الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح

وقد نقل الإمام النووي رحمه الله الإجماع على ذلك ، فقال :

((والحاصل أنهم - أي جماعات السلف - متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغالات بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ، ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن ، ومن دلائله - سوى ما سبق - أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين ، والنوافل المذكورة مختصة به ، ولأن العلم مصحح ، فغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس ، ولأن العابد تابع للعالم مقتد به ، مقلد له فى عبادته وغيرها واجب عليه طاعته ولا ينعكس ، ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه ، والنوافل تنقطع بموت صاحبها ، ولأن العلم صفة الله تعالى ، ولأن العلم فرض كفاية أعني العلم الذى كلامنا فيه ؛ فكان أفضل من النافلة)) . (١)

---

(١) ((المجموع)) (١/ ٤٤ ، ٤٥)

تعليم العلم من أفضل الصدقات

عن الحسن البصري رحمه الله قال :

((لأن أتعلم باباً من العلم فأُعلِّمه مسلماً خيراً من أن تكون لي الدنيا كلها أجعلها فى سبيل الله تعالى)) . (١)

عن الحسن البصري رحمه الله قال :

((كان الرجل - إذا طلب العلم - لم يلبث أن يرى ذلك فى تخشعه وبصره ولسانه ويده وصلاته وزهده ، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به خيراً له من الدنيا وما فيها ، لو كانت له فجعلها فى الآخرة)) . (٢)

---

(١) **إسناده حسن عن الحسن البصري رحمه الله .**

أخرجه الخطيب البغدادي فى ((الفقيه والمتفقه)) (١/ ١٠٢) من طريق أبو سعيد المؤدب (وهو الحسن بن عبد الله بن حسنويه الأصبهاني الكاتب) ، قال : نا أحمد بن جعفر بن معبد ، ثنا أبو الهيثم يحيى بن مطرف ، نا سليمان بن داود الطيالسي الحافظ ، ثنا فضيل بن عياض ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن به .

واختلف على رواية هشام ، عن الحسن ، وقال سفيان بن عيينة : ((كان هشام أعلم الناس بحديث الحسن)) ، وقال ابن علية : ((كنا لا نعد هشام بن حسان فى الحسن شيئاً)) ، وقال سعيد ابن عامر : ((سمعت هشاماً يقول : جاورت الحسن عشر سنين)) .

(٢) **إسناده لا بأس به إن شاء الله .**

فضل طلب العلم ومعرفة الفرائض

على الاشتغال بقراءة القرآن والتزود من القراءات

((**قام رجل إلى ابن المبارك فقال** : يا أبا عبد الرحمن فى أي شيء أجعل فضل يومي ، فى تعلم القرآن أو فى طلب العلم ؟

فقال : هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك ؟

قال : نعم .

قال : فاجعله فى طلب العلم الذى يُعرف به القرآن)) . (١)

.....

أخرجه ابن عبد البر فى ((جامع بيان العلم وفضله)) (١/ ٢٥٨) من طريق أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن (وهو أبو الفضل التميمي الناهرتي البزار ، المتوفي سنة ٣٩٥هـ ، قدم قرطبة صغيراً ، فسمع من قاسم بن أصبغ ، وروى عنه ابن عبد البر ، وكان صالحاً زاهداً منقبضاً ثقة . ((تاريخ الإسلام)) (٨٣/ ٧٤٨) ، نا قاسم بن أصبغ (وهو أبو محمد الأندلسي القرطبي) ، نا محمد بن إسماعيل (أبو إسماعيل الترمذي) ، نا نعيم بن حماد ، نا ابن المبارك ، ثنا زائدة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن به .

وله طريق آخر :

بلفظ : ((العالم خير من الزاهد فى الدنيا المجتهد فى العبادة)) .

أخرجه ابن عبد البر فى ((جامع بيان العلم)) (١/ ٢٣٢) من طريق أبي قطن ، عن أبي حرة ، عن الحسن به .

(١) **إسناده حسن.**

عن سليمان التيمي قال : ((كنا عند أبي مجلز وهو يحدثنا ، قال : فقال رجل : لو قرأتم سورة ، فقال أبو مجلز : ما الذى نحن فيه بأنقص إليَّ من قراءة سورة)) (١) .

والأظهر أنه كان يحدثهم بالعلم ، فذكر أبو مجلز فضل العلم على القراءة ، والقراءة عبادة .

سأل عمرو بن إسماعيل (وهو رجل من أهل الحديث) المعافى بن عمران (٢) ، **فقال له** : يا عمرو أي شيء أحب إليك ؛ أسهر أصلي ، أو أكتب الحديث

.....

أخرجه أبو نعيم فى ((حلية الأولياء)) (٨/ ١٦٥) من طريق عبد الله بن محمد بن حيان (أبو الشيخ الأصبهاني) ، ثنا سلم بن عصام ، ثنا رستة الطالقاني (وهو عبد الرحمن بن عمر) ، ثنا ابن المبارك قوله .

وإسناده حسن من أجل سلم بن عصام ، قال عنه أبو الشيخ الأصبهاني : ((كتبنا عنه وهو شيخ صدوق صاحب كتاب)) . ذكره فى ((طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها)) (٣/ ٥٠٩) .

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه البيهقي فى ((المدخل)) (١/ ٣٠٧) من طريق أبو الحسين بن بشران ، ثنا إسماعيل بن محمد الصفَّار ، نا سعدان بن نصر ، نا معاذ بن معاذ ، نا سليمان التيمي قوله .

(٢) هو المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر بن جبلة الأزدي ، قال عنه الذهبي الإمام : ((شيخ الإسلام ، ياقوتة العلماء ، أبو مسعود الأزدي الموصلي الحافظ)) . انظر : ((سير أعلام النبلاء)) (٩/ ٨٠) .

؟

فقال : كتاب حديث واحد أحب إليَّ من صلاة ليلة)) . (١)

ذكر ابن الجوزي رحمه الله تلبيسه على القراء ، قال :

((فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها ، فيفني أكثر عمره فى جمعها وتصنيفها والإقراء بها ، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإقراء ، ولا يعرف ما يفسد الصلاة ، وربما حمله حب التصدر – حتى لا يرى بعين الجهل – على أن يجلس بين يدي العلماء ، ويأخذ عنهم العلم)) . (٢)

سُئل الشيخ عبد المحسن العباد . حفظه الله . :

هل يستحب تعلم القراءات والاشتغال بذلك عن الفقه فى الدين ؟

فأجاب :

((كون الإنسان يشتغل بها عن الفقه فى الدين ليس جيداً ، بل يتفقه فى

---

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه ابن شاهين فى ((شرح مذاهب أهل السنة)) (١/ ٥٤) من طريق عبد الغافر بن سلامة ، قال : قال أبو ثوبان مزداد بن جميل : سأل عمرو بن إسماعيل (رجل من أهل الحديث) المعافى ابن عمران ، فقال به .

(٢) ((تلبيس إبليس)) (ص١٠١) .

الدين ويتعلم القراءات لكي يجمع بين الحسنيين)) . (١)

(١) ((شرح سنن أبي داود)) للشيخ العباد (٤٦٧/ ٢٩) .

فضل الاشتغال بدرس العلم

على حضور الجنائز والتعزية والتهنئة

قال ابن الحاج المالكي رحمه الله :

((لا يترك الدرس لأجل مريض يعوده ، أو ما أشبهه من التعزية والتهنئة المشروعة ؛ لأن هذا كله مندوب ، وإلقاء العلم متعين إن كان يأخذ عليه معلوماً ، وقد يتعين عليه ، وإذا لم يكن له معلوماً بل لو عرى عنهما معاً لكان أفضل من غيره من المندوبات)) . (١)

قال شمس الدين المالكي رحمه الله :

((والاشتغال بالعلم أولى من الخروج مع الجنازة)) . (٢)

---

(١) ((المدخل)) (٢/ ١١٣) .

(٢) ((مواهب الجليل فى شرح مختصر خليل)) (٢/ ٢٥٥) .

المبحث الثاني

طلب العلم جهاد

وقد يكون أفضل من الجهاد

فى بعض الحالات

قال كعب الأحبار :

((أجد فى كتاب الله : ما من مؤمن يغدو إلى المسجد ويروح ، لا يغدو ولا يروح إلا ليتعلم خيراً ، أو يعلمه ، أو يذكر الله ، أو يذِّكر به إلا مثله فى كتاب الله كمثل المجاهد فى سبيل الله ، والله أعلم)) . (١)

قال الشافعي رحمه الله :

((ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم ، قيل له : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل)) . (٢)

وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله فى حديث النبي ﷺ : ((**أفضل الأعمال**

---

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه ابن أبي شيبة فى ((مصنفه)) (٧/ ٣٢) من طريق ابن نمير ، ثنا عبيد الله بن عمر ، ثنا سعيد المقبري ، ثنا عمر بن أبي بكر ، عن أبيه ، ثنا كعب الأحبار قوله ، وهو المحفوظ .

وقد روي من طرق أخرى ، كما عند الحاكم فى ((المستدرك)) (١/ ٩٣) ، وابن حبان فى((صحيحه)) (١/ ٢٨٥) ، وابن أبي شيبة فى ((المصنف)) (٢/ ١٥٠) من طريق أبو صخر حميد بن زياد ، ثنا سعيد المقبري ، نا أبو هريرة مرفوعاً .

والمحفوظ عن كعب الأحبار من أجل عبيد الله بن عمر ، وهو أوثق من حميد بن زياد .

(٢) **إسناده صحيح.**

أخرجه البيهقي فى ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (١/ ٣١٠) من طريق أبو عبد الله الحافظ ، أنبا أبو الوليد الفقيه (وهو حسان بن محمد الفقيه شيخ خراسان) ، ثنا جعفر بن أحمد الشاماتي ، قال : سمعت الربيع بن سليمان به .

إيمان بالله ثم الجهاد)) (١) ، قال :

((فالجهاد فيه بذل النفس وغاية المشقة ، والإيمان علم القلب وعمله وتصديقه، وهو أفضل الأعمال مع أن مشقة الجهاد فوق مشقته بأضعاف مضاعفة ، وهذا لأن العلم يعرف مقادير الأعمال ، ومراتبها ، وفاضلها ، ومفضولها ، وراجحها من مرجوحها ، فصاحبه لا يختار لنفسه إلا أفضل الأعمال ، والعامل بلا علم يظن أن الفضيلة فى كثرة المشقة ، فهو يتحمل المشاق وإن كان ما يعانيه مفضولاً ، ورب عمل فاضل والمفضول أكثر مشقة منه ، واعتبر هذا بحال الصِّدِّيق ﷺ فإنه أفضل الأمة)) . (٢)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

((فقوام الدين بالعلم والجهاد ، ولهذا كان الجهاد نوعين : جهاد باليد والسنان ، وهذا المشارك فيه كثير ، والثاني الجهاد بالحجة والبيان ، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل ، وهو جهاد الأئمة ، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه .

قال تعالى فى سورة الفرقان وهي مكية :

---

(١) صحيح البخاري (١٥١٩) ، ومسلم (٨٣) .

ولفظه عند البخاري : أن أبا هريرة ﷺ قال : سُئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : ((إيمان بالله ورسوله)) ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ((جهاد فى سبيل الله)) ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ((حج مبرور)) .

(٢) ((مفتاح دار السعادة)) (ص١١٨) .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

فهذا جهادٌ لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين ، وهو جهاد المنافقين أيضاً لم يكونوا يقاتلون المسلمين بل كانوا معهم فى الظاهر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (التحريم:٩) ، ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والبرهان)) . (١)

قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

((لقد مدح الله – سبحانه وتعالى – العلم وأهله وحثَّ عباده على التزود منه ، وكذلك السُّنَّة المطهرة ، فالعلم أفضل الأعمال الصالحة ، وهو من أفضل وأجلّ العبادات ، عبادات التطوع ؛ لأنه نوع من الجهاد فى سبيل الله ، فإن دين الله ﷻ إنما قام بأمرين ؛ أحدهما : العلم والبرهان ، والثاني : القتال والسنان .

فلابد من هذين الأمرين ، ولا يمكن أن يقوم دين الله ويظهر إلا بهما جميعاً ، والأول منها مقدم على الثاني ، ولهذا كان النبي ﷺ لا يُغِير على قومٍ حتى تبلغهم الدعوة إلى الله ﷻ ، فيكون العلم قد سبق القتال)) . (٢)

وقال رحمه الله :

((ولا فرق بين المجاهد الذى يسوي قوسه ، وبين طالب العلم الذى

---

(١) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ١٠٣) .

(٢) ((العلم)) للعثيمين (١/ ١١) .

يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب ، كل منهم يعمل للجهاد فى سبيل الله وبيان شريعة الله لعباد الله ، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله باب (الجهاد) بباب (العلم) ؛ ليبين أنه مثله)) . (١)

قال أيضاً رحمه الله :

((والعلم جهاد فى سبيل الله ، وعليه يبنى الجهاد وسائر الإسلام ؛ لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (التوبة) ، يعني : لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقةٍ منهم طائفة ، وقعدت طائفة أخرى ليتفقهوا ، أي الطائفة القاعدون فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، أي رجعوا من الغزو لعلهم يحذرون ، فجعل الله تعالى الفقه فى دين الله معادلاً للجهاد فى سبيل الله ، بل أولى منه)) . (٢)

سُئل الشيخ ابن باز رحمه الله :

((ما الأفضل فى هذا الوقت ؛ الجهاد فى سبيل الله ، أم طلب العلم ونفع الناس وإزالة الجهل ؟

قال :

---

(١) ((شرح رياض الصالحين)) للعثيمين (٥/ ٤١٣) .

(٢) المصدر السابق .

طلب العلم من الجهاد ، وهو واجب للتفقه فى الدين وطلب العلم ، وإذا وجد جهاداً فى سبيل الله ، الجهاد الشرعي شارك فيه إذا وجد ذلك ، وهو من أفضل الأعمال ، ولكن عليه أن يتعلم ، ويتفقه فى الدين ، وهو أفضل ومقدم على الجهاد؛ لأنه واجب عليه أن يتفقه فى دينه ، والجهاد مستحب فرض كفاية ، إذا قام به البعض ، سقط عن الباقين)) . (١)

وقد سُئل الإمام النووي رحمه الله :

((الاشتغال بالعلم والجهاد فى سبيل الله ؛ أيهما أفضل ؟

قال :

ما دام الجهاد فرض كفاية ، فالإشتغال بالعلوم أفضل ، وإذا صار الجهاد فرض عين، فهو أفضل من العلم ، سواء كان فرض عين أم فرض كفاية ، والله أعلم)) . (٢)

---

(١) ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٧٤١٢٤) .

والجهاد الذى ذكره الشيخ ابن باز رحمه الله الجهاد المستحب غير الجهاد الواجب الذى يهجم العدو على البلد .

(٢) ((فتاوى النووي)) (١/ ١٧٠) .

التفصيل فى تفضيل العلم على الجهاد والجهاد على العلم لدى بعض الناس

قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

((إن بعض العلماء فضَّله - أي العلم - على الجهاد فى سبيل الله ، والصحيح أن فى ذلك تفصيلاً ، فمن الناس من يكون طلب العلم فى حقه أفضل ، فإذا كان الرجل قوياً شجاعاً مقداماً ، لكنه فى طلب العلم بضاعته مزجاة ، قليل الحظ ، قليل الفهم يصعب عليه تلقي العلم ، فهنا نقول : الجهاد فى حقه أفضل ، وإذا كان بالعكس ، رجل ليس عنده تلك القوة البدنية أو الشجاعة القلبية ، لكن عنده حظاً وفهماً واجتهاداً ، فهذا طلب العلم فى حقه أفضل ، فإن تساوى الأمر ، فإن أهل العلم من رجح طلب العلم لأنه أصل ، ولأنه ينتفع به الناس كلهم القاصي والداني ، وينتفع به من كان حياً و من يولد بعد ، وينتفع به صاحبه فى حياته وبعد مماته)). (١)

قال العثيمين رحمه الله :

((فلو جاء رجلان أحدهما دَيِّن طيب ويقول : أنا أستطيع أن أتكسب لكن أحب أن أتفرغ للعبادة : من الصلاة والصيام والذِكر وقراءة القرآن ، فأعطوني من الزكاة واكفوني العمل ، نقول : لا نعطيك ، بل اكتسب ، وجاء رجل قال :

---

(١) ((شرح رياض الصالحين)) (٥/ ٤١٤) .

أنا أريد أن أتفرغ لطلب العلم ، فأعطوني ما يكفيني من أجل أن أتفرغ لطلب العلم ، قلنا: نعطيك ما يكفيك لطلب العلم ، وهذا دليل على شرف العلم وطلبه)) . (١)

(١) المصدر السابق (١/ ٤٢٧) .

المبحث الثالث

العبرة فى العالم والراوي

تكون على إتقانه وعلمه

أكثر من عبادته

قال مالك بن أنس :

((لقد أدركتُ بهذا البلد - يعني المدينة - مشيخة لهم فضل صلاح وعبادة يحدثون ما سمعت من واحد منهم حديثاً قط .

قيل : ولم يا أبا عبد الله ؟

قال : لم يكونوا يعرفون ما يحدثون)) . (١)

والعبرة هنا فى قبول الرواية على إتقان الراوي لا على عبادته .

قال أيوب السختياني رحمه الله :

((رب أخٍ من إخواني أرجو دعاءه ولا أقبل شهادته)) . (٢)

---

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه الفسوي فى ((المعرفة والتاريخ)) (٢/ ١٩٥) من طريق إبراهيم بن المنذر ، ثنا مطرف بن عبد الله اليساري (مولى زيد بن أسلم) ، ثنا مالك بن أنس به .

(٢) **إسناده حسن.**

أخرجه الخطيب فى ((الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)) (٢/ ٢٠١) من طريق أبو حازم عمر بن أحمد العبدوني ، أنا محمد بن أحمد بن الغطريف بجرجان ، نا الساجي (يعني زكريا بن يحيى الساجي) ، أنا الأصمعي ، نا سلام بن أبي مطيع ، قال : سمعت أيوب يقول به .

وزكريا بن يحيى بن خلاد وهو أبو يعلى المنقري الساجي البصري وهو ثقة فقيه ، ولم يخرج له أحد من الستة ، حدث ببغداد عن الأصمعي وهو يكثر عنه ، وعنه عبيد الله السكري ، والقاضي المحاملي ، وغيرهم . انظر : ((تاريخ بغداد)) (٦/ ٨٥)

فقد يكون العابد ممن لايؤخذ منه العلم ، لكن العالم يؤخذ منه العلم ، وإن قلت عبادته .

قال الخطيب البغدادي رحمه الله :

((**وقيل** : العلم والد والعمل مولود ، والعلم مع العمل ، والرواية مع الدراية ، فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم ، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً فى العمل ، ولكن اجمع بينهما ، وإن قلَّ نصيبك منهما ، وما من شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته ، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته)) . (١)

.....
....

ومحمد بن أحمد الغطريف وهو أبو أحمد الجرجاني الحافظ ، قال عنه أبو بكر الإسماعيلي : ((لا أعرفه إلا صواماً قواماً)) . انظر : ((لسان الميزان)) (٦/ ٤٩٥) .

(١) ((اقتضاء العلم للعمل)) (١/ ١٤) .

الباب الثالث

ضلال من ابتغى العبادة

بغير علم

غياب العلم ينشر الشرك

حديث ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (نوح) ، قال :

((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموهم بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عُبدت)) . (١)

وفيه أن غياب العلم ينشر الشرك ، وهذا ليس فى العبادة .

عن مطرف بن عبد الله الشخير أنه قال :

((العلم أفضل من العمل ، ألا ترى الراهب يقوم الليل فإذا أصبح ... ، وقال الجوهري : حتى إذا أصبح أشرك)) . (٢)

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٢٠) .

(٢) **رجاله معدلون.**

أخرجه الخطيب البغدادي فى كتابه ((الفقيه والمتفقه)) (١/ ١٠٩) من طريق محمد بن أحمد بن أبي الطاهر الدقاق ، نا أحمد بن سليمان النجاد ، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ، ثنا يحيى ، عن شريك ، عن نصير بن هريم المحاربي ، عن مطرف به .

إلا أن نصير بن هريم المحاربي لم أجد فيه جرح ولا تعديل ، ولم أجده فى غير هذا السند .

وله طريق آخر :

عن ابن أبي عون قال : سمعت يزيد بن هارون يقول :

((الجواربي والمريسي كافران . قال : وسمعت يزيد بن هارون وذكر الجواربي فضربه مثلاً ، قال : إنما داود الجواربي عبر جسر واسط يريد العبادة ، فانقطع به الجسر فغرق من كان عليه ، فخرج شيطان فقال : أنا داود الجواربي)) . (١)

وفيه أن من ابتغى العبادة بغير علم يضل .

.....

عن محمد بن القاسم بن خلاد ، عن مطرف به .

ومحمد بن خلاد قال فيه الدارقطني : ((ليس بالقوي)) .

(١) **إسناده صحيح .**

أخرجه الخلال فى ((السنة)) (٥/ ١٠٤) من طريق أبو بكر بن أبي صدقة (وهو أحمد بن عبد الله ابن صدقة) ، نا أبو بكربن أبي عون (وهو محمد بن أبي عون البغدادي) ، نا يزيدبن هارون به .

وأبو بكر بن أبي صدقة ، قال عنه الخطيب : ((كان موصوفاً بالضبط والإتقان)) .

وأبو بكر بن أبي عون ، قال عنه الدارقطني : ((من الثقات)) .

غياب العلم يوقع فى البدع والضلال

قال عبد الرحمن بن عمر :

((ذكر عند عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع ، واجتهادهم فى العبادة ، فقال :

((لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسُّنَّة)) .

ثم قرأ : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ (الحديد:٢٧) ، فلم يقبل ذلك منهم ، ووبخهم عليه ، ثم قال :

((الزم طريق السُنَّة)) . (١)

عن الحسن البصري رحمه الله قال :

((طلبنا هذا الأمر ، ونظرنا فلم نجد أحداً عمل ، عملاً بغير علم ، إلا كان

---

(١) **إسناده حسن.**

أخرجه أبو نعيم فى كتابه ((حلية الأولياء)) (٩/ ٨) من طريق أحمد بن إسحاق (وهو أحمد بن بندار بن إسحاق الشعار أبو عبد الله الأصبهاني المقرئ) ، نا عبد الرحمن بن محمد بن سلم (أبو يحيى الرازي) ، نا عبد الرحمن بن عمر ، أنا عبد الرحمن بن مهدي به .

وأحمد بن إسحاق الشعار ثقة ، وثقه الخطيب فى ((تاريخ بغداد)) ، وعبد الرحمن بن سلم ، قال عنه الذهبي : ((من أوعية العلم)) ، وقال عنه الأصبهاني : ((مقبول القول)) ، وعبد الرحمن بن عمر (رسته) : ((صدوق)) ، وقال عنه أبو نعيم : ((كان راوية يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، وكان عنده من ابن مهدي ثلاثون ألف حديث)) .

ما يفسد أكثر مما يصلح)) . (١)

ذكر النبي ﷺ الخوارج وحالهم فى العبادة ، ومع ذلك لم تغنيهم عن البدع والضلال .

كما روي فى ((الصحيحين)) عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : ((**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**)) . (٢)

وفى حديث مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما لهم قال :

((وأتيت قوماً لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم مسهمة (٣) وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم)) . (٤)

---

(١) **إسناده حسن عن الحسن البصري .**

أخرجه عبد الله فى ((زوائد الزهد)) (١/ ٤٨٦) من طريق الحسن بن عبد العزيز الجروي ، نا عمر ابن أبي سلمة ، عن الحسن به . وقد تقدم تخريجه .

(٢) صحيح البخاري (٦٩٣١) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٣) من السهوم وهو الضمر . ((غريب الحديث)) لابن قتيبة (٢/ ٢٥٤) .

(٤) **إسناده حسن .**

أخرجه الحاكم (٢/ ١٦٥) من طريق أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي ، ثنا عمر بن يونس بن القاسم اليمامي ، ثنا عكرمة بن عمار العجلي، ثنا أبو زميل سماك الحنفي ، ثنا عبد الله بن عباس به .

وفى رواية :

((أيديهم كأنها ثفن [١] الإبل ، ووجوههم معلمة من آثار السجود)) . [٢]

قال ابن الجوزي رحمه الله بعدما ذكر حال الخوارج :

((ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لهم لم أر التطويل بذكرها ، وإنما المقصود النظر فى حيل إبليس ، وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم ، واعتقدوا أن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه على الخطأ ، وأنهم على الصواب ، واستحلوا دماء الأطفال ، ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها ، وتعبوا فى العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر ، واستحل قتل علي كرم الله وجهه ، ثم شهروا السيوف على المسلمين ، ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ : ((اعدل فما عدلت)) ، وما كان إبليس ليهتدي إلى هذه المخازي ، نعوذ بالله من الخذلان)) . [٣]

---

(١) جمع ثِفنة ، وهي ما ولي الأرض من كل ذات أربع إذا بركت كالركبتين وغيرها ، ويحصل فيها غلظ من أثر البروك . ((النهاية فى غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/ ٢١٦) .

(٢) **إسناده حسن.**

أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ١٥٧) من طريق عكرمة بن عمار ، قال : حدثنا أبو زميل الحنفي ، قال: حدثنا عبد الله بن عباس به .

(٣) ((تلبيس إبليس)) (ص٨٦) .

وقال أيضاً الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

((اعلم أن الباب الأعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل ، فهو يدخل منه على الجهال بأمان ، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة ، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم ؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم .

وقد قال الربيع بن الخيثم : ((تفقه ثم اعتزل)) . (١)

فأول تلبيسه عليهم إيثابهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل ، فأراهم أن المقصود من العلم العمل ، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح ، وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل الجوارح ، وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح ....

قال المصنف :

فلما مر عليهم هذا التلبيس ، وآثروا التعبد بالجوارح على العلم ، تمكَّن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد)) . (٢)

---

(١) **إسناده جيد .**

أخرجه عبد الله فى ((زوائد الزهد)) للإمام أحمد (١/ ٢٧٢) ، والبيهقي فى ((الزهد الكبير)) (١/ ٩٤) ، وأبو نعيم فى ((الحلية)) (٩/ ٤٩) ، والخطيب فى ((الفقيه والمتفقه)) (١/ ١٠٧) من طريق محمد بن النضر الحارثي ، قال : قال الربيع بن خيثم به .

(٢) ((تلبيس إبليس)) لابن الجوزي (ص١٢١) .

وقال ابن الجوزي رحمه الله فى نصيحته لابنه :

((وإيَّاك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم ، فإن خلقاً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى ، إذ عملوا بغير علم)) . (١)

وقال أيضاً رحمه الله :

((قد يسمع العامي ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحاديث ؛ فيرى أن النجاة تركها ولا يدري ما الدنيا المذمومة ، فيلبس عليه إبليس بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا ، فيخرج على وجهه إلى الجبال ؛ فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ، ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي ، كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه ، وعن فلان أنه تعبد فى جبل ، وربما كانت له عائلة ؛ فضاعت ، ووالدة ؛ فبكت لفراقه ، وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي ، وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها ، وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ، ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ، ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرَّفه أن الدنيا لا تذم لذاتها ....

قال : ومن تلبيسه على الزهاد ؛ إعراضهم عن العلم شغلاً بالزهد ، فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه ، والعالم نفعه متعد ، وكم قد رد إلى الصواب من متبعد)) . (٢)

---

(١) ((لفتة الكبد فى نصيحة الولد)) (ص١١) .

(٢) ((صيد الخاطر)) (١/ ١٣٥) .

ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله تلبيس إبليس على الصوفية ، ثم قال :

((وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم ؛ تخبطوا فى الظلمات ، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة ؛ فرفضوا ما يصلح أبدانهم ، وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح ، وبالغلوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع ، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنه ، غير أنهم على غير الجادة ، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري)) . (١)

كتبه
أبو عبد الله
أحمد بن حسين بن بدوي
ادفو ـ أسوان ـ مصر
٠١٠٠٦٨٧٧٣٢٧
٠١١٥٨٤٧٨٩٩٠

(١) ((صيد الخاطر)) (ص١٤٧) .

الفهرس

مقدمة فضيلة الشيخ محمد بن عبده ٣
مقدمة المؤلف..... ٥
الباب الأول : العلم أفضل الأعمال ١٣
المبحث الأول : العلم أشرف القربات..... ١٥
العلم أفضل الأعمال وأشرفها ١٧
المبحث الثاني : سبق العلم للعمل ٢٩
المبحث الثالث : العلم عمل فى ذاته..... ٤٣
الباب الثاني : فضل العلم على نوافل العبادات..... ٤٩
المبحث الأول : فضل طلب العلم على جميع نوافل العبادات وفضل العالم على العابد..... ٥١
فضل دراسة العلم على الصلاة النافلة..... ٦٨
فضل دراسة العلم على نافلة الصيام ٧٢
نقل الإجماع على تفضيل الاشتغال بالعلم على الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ٧٣
تعليم العلم من أفضل الصدقات..... ٧٤
فضل طلب العلم ومعرفة الفرائض على الاشتغال بقراءة القرآن والتزود من القراءات..... ٧٥

فضل الاشتغال بدرس العلم على حضور الجنائز والتعزية والتهنئة.....٧٨
المبحث الثاني : طلب العلم جهاد ، وقد يكون أفضل من الجهاد ٧٩
التفصيل فى تفضيل العلم على الجهاد ، والجهاد على العلم ٨٦
المبحث الثالث : العبرة فى العالم والراوي تكون فى إتقانه وعلمه أكثر
من عبادته.....٨٧
الباب الثالث : ضلال من ابتغى العبادة بغير علم.....٩١
غياب العلم ينشر الشرك ٩٢
غياب العلم يوقع فى البدع والضلال.....٩٤
الفهرس ١٠٠

الصف والإخراج الداخلي
عاطف سعد عنتر
٠١٠٩٩٧٧٤٤٨٩